17 eme Année No. 829 — Lundi — 23 — 5 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٨٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ رجب سنة ١٣٦٨ — ٢٣ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

تيتو والشيوعية « القومية »

للأستــــاذ عمر حليق

يقف المارشال تيتو سيد يوغسلافيا موقفاً فريداً إزاء هذه التيارات الجارفة التى تهب عليه من المعسكرين المتطاحنين : السوفياتى والغربى .

فهذا الخليط من الأقليات العنصرية والطائفية التى تؤلف « اتحاداً جمهورياً من الشعب اليوغسلافية » يمر فى فترة غريبة فى خطورتها . ذلك لأن موقف التحدى الذى يقفه المارشال تيتو من الإدارة المركزية للشيوعية الدولية (الكومنفورم) الذى يعمل بوحى من موسكو جلب عليه غضب المعسكر الروسى فى شرق أوربا وأواسطها وفى البلقان ، ولم يكسبه — إلى الآن على الأقل — بركة حلفاء الغرب ومؤازرتهم ونصرتهم . وتيتو على رغم ذلك قوى العقيدة فى صلاح الماركسية الأصيلة كما تنص عليها تعاليم ماركس ولينين كأساس للحياة السعيدة ، وهو كافر بالنظم التى يعيش عليها المعسكر المادى للشيوعية .

وماركسية تيتو ليست اشتراكية معتدلة على غرار المجتمعات الاسكندنافية مثلا ، أو تلك التى تحاول توطيدها فى بريطانيا حكومة العمال .

فالنظام الذى يصوغ به تيتو حاضر يوغسلافيا هو نظام شيوعى أصيل فى وسائله وأهدافه . وليس خلافه مع موسكو والكومنفورم يمس العقيدة الماركسية وإنما يمس تفسيرها والوسائل لتدعيمها وتحقيق مراميها .

والواقع أن تيتو « سوفياتى » أكثر من ستالين ؛ فإن جوهر الخلاف بين يوغسلافيا وموسكو يعود إلى إصرار تيتو على الاعتقاد بأن نجاح الماركسية ورسوخها فى الفكر والمسلك لن يتحقق فى هذه المركزية الدقيقة الصارمة التى تفرضها موسكو بواسطة الكومنفورم على الأحزاب والجماعات الشيوعية التى تعيش خارج الاتحاد السوفياتى ؛ بل إنه يؤمن بأن لكل مجتمع ظروفاً خاصة ومؤثرات خاصة ونزعات عاطفية وتكويناً خلقياً خاصاً ، فلا يمكن أن تصهر جميعا لتكون لينة مطاوعة لتوجيهات دقيقة تصدر عن موسكو أو الكومنفورم وتمس المصالح القومية للذين اختاروا الاشتراكية نظاماً للحياة .

وقد انقضت أكثر من عشرة أشهر على انفصام عرى الوئام بين المارشال تيتو وبين موسكو والدول الشيوعية الأخرى ، واتخذ هذا الخلاف صورة جدية فى الأسابيع الأخيرة عند ما حشدت ألبانيا وبلغاريا بعض قواتها على الحدود المشتركة مع يوغوسلافيا ؛ ولكن هذه الحالة السيئة لم تضعف من مركز تيتو ولم تقلل ثقة الشعب اليوغسلافى بزعامته .

وتركز النظام الحالى فى يوغسلافيا يعود إلى أسباب ، منها أن الأغنياء ومترفى الطبقة الوسطى بالرغم من استيائهم من الاشتراكية التى حققها تيتو ثم الآن مشاولو النشاط ليس لديهم

من المال والأنصار مايستطيعون بواسطته إقصاء تيتو عن الحكم .
وعامة الشعب من الزارعين والعمال لا مفر لهم فى يوغسلافيا من اختيار أهون الشرين : فإما ستالين وإما تيتو . وهذه الوضعية كذلك تنطبق على المثقفين . ويبدو جلياً أن الكثرة من كلا الفريقين قد رضيت بالمارشال تيتو مواطنهم . وقد فر أنصار موسكو والكومنفورم إلى خارج البلاد ، ولم يعد لهم أثر فى السياسة والحياة العامة .

والصعاب التى تواجه تيتو جمة ؛ فقد قطعت الحكومات الشيوعية المحالفة لروسيا صلاتها الاقتصادية مع يوغسلافيا ؛ وتحفظ حلفاء الغرب فى تعاملهم مع تيتو فى السياسة والاقتصاد .
وبقى هذا الاشتراكى العنيد مصراً على ألا يساوم طرفاً من الطرفين (السوفياتى والغربى) على حساب الاشتراكية القومية التى يعمل لتوطيدها فى وطنه . فتيتو يرى أن الوسائل التى يتبعها السوفيات وحلفاؤهم من الدول الشيوعية الأخرى لتحقيق الماركسية الصحيحة هى طريقة خاطئة تخالف تعاليم لينين من حيث أنها لا تراعى الخصائص الفردية لكل مجتمع ، ولا تحاول أن تفرض على العالم بأسره نظاماً موحداً لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات وما هى عليه من تباين فى كثير من الطبائع والميول والاتجاهات . ومع أن الماركسية تصر على بلشفة العالم فى المراحل النهائية من التطور ، فإن لينين رأى أن يراعى طبيعة هذا التباين الاجتماعى عند ما انكب على توطيد الماركسية فى الاتحاد السوفياتى أولا تاركا العالم الخارجى وشأنه ، وهذا على عكس ما جرت عليه السياسة الروسية فى سنوات ما بعد الحرب .

وتيتو كذلك لا يرى أن من الخير ليوغسلافيا أن تترك التجربة الاشتراكية الناجحة التى توطدت فيها الآن لترتمى فى أحضان الرأسمالية .

وخلاف تيتو مع موسكو لا يقتصر على المبادىء الفكرية وتفاسيرها ، بل إنه يمس التعامل الاقتصادى كذلك .
فإن سيطرة موسكو على منطقة نفوذها فى شرق أوربا تستدعى أن تنسق يوغسلافيا إنتاجها الزراعى والصناعى بحيث لا ينافس الصناعة والانتاج الروسيين وإنتاج الدول الشيوعية الأخرى لئلا تنفصم عرى الوحدة الاقتصادية فى منطقة النفوذ الشيوعى .

وتيتو لا يرى أن من المصلحة القومية أن يحصر إنتاج بلاده ونشاطها الاقتصادى فى أصناف معينة أو مقادير محدودة مراعاة لمصلحة موسكو والدول الموالية لها . وهو يرى أن يوغسلافيا تستطيع أن تحقق إنتاجاً وافراً دون قيود والتزامات اختيارية أواضطرارية فتستفيد وترفع مستوى معيشة سكانها بدل أن تضحى بذلك إرضاء لتعليمات الكومنفورم .

ويقول تيتو صراحة إن بلاده لم تتحرر على يد الجيش الروسى أو جيوش الحلفاء الغربيين من النير الطليانى والألمانى ، وإنما الذى حرر يوغسلافيا هم أبناؤها من الثوار ورجال المقاومة السرية ، ولذلك فليست يوغسلافيا مدينة لأحد ، وهى ترفض الانصياع لأوامر موسكو والاستسلام لرغبات الغرب .

هذه العزلة الاقتصادية والسياسية التى اختارها تيتو لنفسه ولبلاده قد استوجبت التزامات ثقيلة . وقد أصر تيتو على أن يلمس بنفسه طبيعة هذه الالتزامات وانعكاساتها على طبقات الشعب فقام يجوب أنحاء البلاد ليتعرف مطالبها ويقف على مشكلات الأقليات العنصرية والطائفية المختلفة الميول والنزعات .

وكان لاختبار تيتو حالة الشعب ووسائل الإنتاج اختباراً شخصياً أثر بليغ فى تفهمه لحقيقة الوضع ومواطن الضعف وإمكانيات القوة . كما أن اتصالاته الشخصية قد عززت مكانته فى قلوب الشعب تعززاً متيناً . وتيتو هو أول زعيم شيوعى مسؤول يترك قصره المحاط بالحراس ويندفع فى طول البلاد وعرضها يدرس ويتعرف عن كثب .

ولقد اكتشف تيتو البون الشاسع بين وضع المشروعات والبرامج على الخرائط والورق وبين حقيقة تنفيذها . فقد وجد أن العمال فى المصانع والمزارع التى تملكها الدولة بطيئو النشاط قليلو الإنتاج منحطو المعنوية بسبب الظروف الصعبة التى تحيط بالحياة العمالية .
فعمل تيتو جادا لزيادة نشاطهم وإنتاجهم ورفع معنويتهم عن طريق التحسين فى شؤون العمل وظروفه وشروطه الصحية وساعات الراحة والحصة فى الأرباح وجوائز التفوق وغير ذلك من المؤثرات النفسانية التى يعملها المعنيون بشؤون العمل والعمال .
وقد أفاد تيتو كثيراً من الجولات فى طول البلاد وعرضها للتعرف على الاتجاهات السياسية ومبلغ مناصرة الشعب له فى

قطـــرات ندي

للأستـــاذ راجي الراعي

* مهزلة، والمحبة سلاف، والغرور أصداف، والحياة غلاف.
* كلما رفعت ستاراً من ستائر الغيب غرد لي طائر في الجنة.
* الأبراج كثيرة وأعلاها تلك التي تتنقل بينها الشمس ويقيم فيها العباقرة.
* اليأس جدار يتداعى.
* ثلاثة حدود لم تعرف بعد: الحد الذي تقف عنده قدرة المرء، والحد بين العقل والجنون، والحد بين الجريمة والعبقرية.
* كيف ترجو أن يقوم بناؤك في الأرض والحجر في إحساسك وضميرك؟
* كأني بهذه الجبال جبلت من كبريائك وكبريائي!
* أنا في رأسي وما يحويه من ذاكرة وإرادة وعقل وشعور وخيال بين منجم وجواد وميزان وقيثارة ومجنون.
* أرى في الحرات مركبة للملاء تجر إلى الخالق.
* إن المواهب رفيعة عزيزة منيعة أنيقة لا تعرف التطفل والابتذال، ولا القيد والإذلال، ولا تؤخذ رخيصة ولا يسمع لها في كل مقام مقال: اسقني خمراً لأسقيك خمراً... هات لي أجواني لآتيك بجناحي.. أرسل بطاقة الدعوى إلى الملا، لترى وجهي في الوليمة الخالدة.
* البركان تطلقه الأرض إذا جأرت بالدعاء لله.
* الليل ضباب أسود.
* كلما مر بي يوم نزع الموت من طريقه إلى حجراً!
* للفجر مهمته، يقوم بها في كل صباح بنشاطه المعروف: يبدأ بتلاوة سيرة الليل، ويسكب نداه، ويمهد طريق الشمس، ثم يتوارى أمامها تهيباً وإجلالا.
* العقل يهمس والهوى يصرخ.
* الصدى رسم الصوت.
* أين أذهب بأحلامي إذا ما احتضرت غداً؟ أأذبحها حلماً حلماً على عتبة القبر؟ ليست يدي حمراء فلا قدرة لي ولا جرأة على هذه المجزرة.
* الميت أمانة نودعها التراب ولكنه لا يحفظ الوديعة.
* ألم تهتد بعد إلى الطريق، ولم تختر الرفيق وأنت بين ذاك الرحيق رحيق الجنة، وهذا الشهيق شهيق الجحيم؟
* بين الراقم والبحيرات صلات.

موقف الضغط السوفياتي الشرقي ومن السلبية الغربية.

والظاهر أن موسكو والكومنفورم لن تترك تيتو يطبع الشيوعية بطابع قومي محلي وينفر من المركزية الصارمة التي استنتها موسكو لنفسها ولحلفائها. فبالإضافة إلى حرب الأعصاب وتجمع الجيوش الشيوعية على الحدود اليوغسلافية وحملات الدعاية والتشنيع الذي تتعرض له يوغسلافيا وعاهلها فإن تيتو يواجه حركة جدية من المعسكر السوفياتي تبتغي اقتطاع أجزاء واسعة من الأرض اليوغسلافية وضمها إلى قطاعات يونانية وبلغارية وألبانية لتأليف دولة بلقانية شيوعية جديدة تعرف باسم « مقدونيا »

وهذا التحدي السوفياتي لتيتو يلاقي منه صلابة حازمة. وإلى الآن لم يطلب تيتو معونة من حلفاء الغرب. ولا يبدو أن الحلفاء قد عرضوا عليه هذه المعونة، وكل ما طلبته يوغسلافيا من الحلفاء وغيرهم من الدول الحيادية هو زيادة التبادل التجاري دون التقيد بالتزامات سياسية أو عسكرية.

ومن الجدير بالإشارة إليه أنه بالرغم من هذا الاختلاف الجدي بين تيتو وموسكو فإن الوفد اليوغسلافي في الأمم المتحدة لا يحيد مطلقاً عن الأخذ بوجهة النظر السوفياتية والتصويت بجانب الكتلة السوفياتية في القضايا المعروضة على الأمم المتحدة.

وللمرء أن يتساءل عن المدى الذي قد يستطيع تيتو أن يثبت فيه على هذه الصلابة، وهل سيدفع في المراحل النهائية لمحالفة المعسكر الغربي أم سيخضع لموسكو؟

الجواب في هذه الأيام الحبالى التي تلد كل عجيب...

(نيويورك) عمر حليق

* بين الأوراق والثمار ما بين الأصداف واللآلىء .

* لكل دمعة ؟ فإذا بكى الجبل ذرف ينبوعا .

* إن الطرق الواجب منعطفات هى الخيانات .

* الفم الذى لا يشبع ولا يرتوى هو فم الشهرة الشرهة .

* كلما تمثلت مرارة يومى الأخير فى أيامى بفم الشره الولهان أمتص ما فيها من الشهد .

* أنا مثقل بآبائى وبلاياى ومطامعى وموتاى وأحلامى ، ولا أزال مع ذلك قائماً أسعى لم أرزح بعد تحت أثقالى...أفى ساق هذه القوة الجبارة وأنا أحسبنى ضعيفاً ؟. أفى هذا العتو وأتململ، وأخاف وأشكو ؟

* أقدم الممالك وأشدها رسوخاً وهولا وطغيانا مملكة الأموات ، يتولاها رجل صولجانه المنجل وشريعته القدر ، وجيشه راقد وخزائنه فارغة وعلمه هو العدم وعرشه من تراب تخلمه عنه بين الحين والحين يد تمتد إليه من دار الخلد .

* من وثق بالله وثق بنفسه ووثق به الناس. إنها الثقة المثلثة.

* كم من عبد ذليل هيل عليه التراب ألف مرة قبل يومه الأخير فانطوى قبره على ألف قبر !

* فى كل عاصفة وإعصار خطيب عظيم من خطباء الطبيعة يدعو إلى الثورة ، وفى كل صاعقة غضبة لجوبيتر ، وفى كل بركان أرض تمزق أحشاؤها ، وفى كل فجر ستار يرفع ، وفى كل جبل كبرياء مجمدة ، وفى كل سهل خضوع واستسلام ، وفى كل ينبوع قلب لشاعر عبقرى ، وفى كل نجمة عين رقيب ، وفى كل ليل طليعة من طلائع الموت ، وفى كل شيطان ساع من سعاة الجحيم .

* لقد خلقتم أفراساً لتنطلقوا فى الفضاء الرحب والسهل الفسيح حتى تبلغوا الحد الذى رسمه لكم القدر .

* لولا العين التى تفرقنى فى الدنيا لجمعت نفسى وخلوت بها وعشنا معاً فى جو من الطهر الناصع والمجد الساطع والفلسفة الجامحة التى لا رادع لها ولا وازع .

* أنا حى ولكننى أحمل موتاى وموتى العتيد الذى فرز فى وتداً منذ ولدت ورحل على أن يعود إلى بعد حين حاملا خيمتى لينصبها لى هناك على رابية عساها تكون زاهرة وبين قوم أرجو ألا يكونوا الشياطين .

* قد ترقد الفكرة أعواماً ثم تمر بها فكرة أخرى فتوقظها وتمشى الفكرتان متعانقتين كأنهما على موعد فى طريقهما إلى هنائك أو شقائك ...

* إذا جفت البحور اطلقها الإنسان من صدره وعينيه فزخرت ببلاياه ...

* التدى يقرب الحب .

* الأساطير هوس التاريخ وتهاويله .

* الأصداء هى الأصوات فى أنانيتها وقحتها وعنادها

* الله هو الطيب يفوح ريحه فى العبقرية .

* الجنون عقل سقط تحت أثقاله !

* الرأس والصدر والبطن ثلاثة أقفاص أنا طيرها السجين .

* الجبين هو الشاطىء الذى يلقى فيه الدماغ مراسيه كلما خاض عباب التفكير وعاد من رحلته ...

* الحجر فى أسس البناء تضحيةٌ ونكران ، وفى زاويته سيادةٌ وزعامة ، وفى جداره شبابٌ ومرونة ، وفى سقفه عطف وحماية ؛ وهو فى سفح الجبل طموح ، وفى شعابه مخاطرة ، وفى قمته غطرسةٌ وشمم ؛ وفى الأعمدة تمردٌ وشموخ ، وفى الخرائب حنين وذكرى ، وفى القبور سأم وهجران ...

* الجنون رجل مجنون يلبس حداد عقله الميت !

* البحر كأس من الماء إذا شرب هرول .

* الأمثال دنانير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس .

* الغصن الذى يحمل الثمرة اليانعة يد تشير إلى الخبرة والحنكة .

* البصر بعض البصيرة أو هو أداتها .

* بين السحر والغسق يوم يتقلب بين الهم والقلق ، ووهم وعد وما صدق ... ويجيئنى الليل ويأتى الأرق ... وما أنا إلا سهم أطلقه الحب فانطلق ، ولسان نطق وقلب خفق ... وطارق طرق فكان جزاءه الفلق ... ولله سره فى ما خلق ...

* ما ذا تفعل تلك المئات من الشموس الهاجعة فى المجرة ... أتراها تنام على غارها القديم أم هى تنتظر خلائفها وأحفادها العتيدة؟

* الزمان فم لعابه الأمل ولسانه التاريخ ولقمته العمر ونابه الموت ...

* الشباب فكرة غمضت فى رأس الطبيعة .
* الذكرى جرس يطنّ فى أعماق وادى النسيان .
* الشمم هو ما ارتفع فيك من الهضاب والقمم .
* فى اليوم الواحد يتصارع العقل والجنون ألف مرة كأنهما الأسد والنمر فى غابة الرأس .
* النجوم وشى الليل ، أو جيش غلب على أمره ، أو نظارات الخالق فى ما صنع ، أو شهودنا ونحن نحتكم إلى الزمان ، أو سلك من اللآلى انتثر ، أو بقايا سيارة كان لها يوماً ثم ارتطمت بما شقها ووزعها فى الفضاء ...
* كلما احتك الخالق بخليقته سكنت رياح الكفر وتألق فى سماء الإيمان كوكب جديد .
* إن فى كسوف الشمس وخسوف القمر شيئاً من اليأس والسأم والقنوط ...
* كل فكرة نبضة من نبضات الرأس .
* الليل عقد ينفرط نجوماً ...
* الكفن آخر هبات الناس للناس !
* المهد أول اللحد ، واللحد مهد الآخرة .
* كلما أقمر الهلال ترنح أملى واطمأن طموحى .
* من قلت شموسه وكثر ضبابه فتح له الفن ذراعيه وضمه إلى صدره .
* الأعوام أعمدة الزمن .
* كلما رأيت الشجرة السامقة الشامخة حسبت الأرض تتطاول إلى السماء لتراها وتبثها الشكوى .
* من نحر الحب أكل قلبه .
* ما دام هناك رقاب تنحنى فلا بد من بقاء النير !
* يدفنونه هنا فينهض هناك : تلك هى البطولة .
* خلقت لنا الجباه لنجابه بها الدهر ، فمن ألقى سلاحه أمام الحياة تخلى عن جبينه .
* السهول أكتاف الجبال ، والأودية بطونها ، والقمم رءوسها ، والشعاب عروقها ، والمناور أفغامها ، والآكام أطفالها ، والثلوج شيبها ، والأشجار خيالها ، والرياح وحيها وتذكاراتها ، والصخور ضلوعها ، والرسوخ فى الأرض عقلها وبقاؤها ...
* الرجل الكبير تقرأ على صحيفة قبره فى كل صباح سطراً جديداً .
* الموت هدنة ثم يستأنف العراك .
* غضون الوجه والجبين أتلام يشقها محراث الحياة .
* القراطيس لا تحمل وطأة العباقرة .
* الطمع سكرة لا كؤوس لها .
* الأرض التى تمنحك بسنابل خيراتها هى التى تظللك بحديد قيودها .
* كلما تعددت ذاتيتك قل عنادك .
* كلما رأيت الشمس تميل إلى المغيب خشيت على ما نسجته من الأحلام .
* الإيمان ذراع النفس مرتفعة إلى السماء تبتهل ، والكفر ذراعها المبتورة .
* المخترعون أقرب الناس إلى الخالق .
* كلما فنيت أحلامى فى أهدافها طاب لى البقاء .
* الموت وحده هو الذى يعتقك مما أنت فيه . . إن فى حريتك تراباً ولحداً .
* الأبله ساعة تحطمت آلتها .
* الفجر طفولة ، والظهيرة كهولة ، والمساء شيخوخة ، والليل هو الموت .
* حكاية الليل والنهار حكاية جدار تبنيه وجدار ينهار .
* السماء ترمى الأرض بصواعقها فترميها الأرض ببراكينها .
* قد يكون البركان احتجاجاً على الإنسان الذى تلعب يده بأحشاء الأرض .
* للكهرباء المظيم أسلاك توثقه بالخلود .
* إننى أرى التراب عالقاً بالجباه القليلة .
* العقيم صفر فى سفر الوجود .
* النجوم عديدة ولكن هل لك بينها نجمة ؟
* كلما نظرت إلى الأفق الجبار شعرت أنى ما أزال طفلا .

راجى الراعى

صور من الحياة :

قبعـــة تتفلسف

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا صاحبي ، أي شيطان وسوس لك فرحت تمهن الوطن والدين واللغة ، وجئت تريد أن تسترق الناس منها جميعاً لتذرهم – بعدها – حطاماً خوى من الكرامة والرجولة والإنسانية ؟

لقد كان حديثاً عجباً أن تقول «أنا لا أومن بالوطن ولا بالدين ولا باللغة لأنها قيود ثقال . وأخسر بمن يتحرر منها أن يسود العالم كله .

أما الوطن فهو كلمة براقة تستهوى القلوب الضعيفة وتستغرق الألباب السقيمة ، وتخلب العقول الجامدة . على حين أنها – في رأى الفيلسوف – فارغة من المعنى خالية من الحياة . والوطن هو نعرة بالية توارثها جيل عن جيل في غير إمعان ولا روية ، وهو آثار فكرة التعصب العتيق حين كانت القبائل المتشعبة تدبث في فجاج الأرض ومتاهاتها ، تخشى أن يتخطفها الناس من حولها ، وهو لفظ جاف لا يحمل في ثناياه إلا صورة من جشع الإنسان الأول وكلبه حين اضطربت الأنانية في نفسه – لأول مرة – فاختار قطعة من الأرض ووضع حواليها الصوى والعلامات ثم قال : هذه ملكى .. هي وطني ! »

ونسيت أن الوطن روح تتدفق في مسارب الدم وتخفق بين طيات القلب ، وهو تاريخ حي ينبض في ملاعب الصبا ومسارح الشباب ، هناك تحت الدوحة الباسقة على شاطئ النيل ، وفي ظلال شجرة الجميز على ضفة الغدير ، حيث تداعبهما أنفاس الصبح الندية أو تمايلها نسمات الأصيل الهينة ، والسماء صافية والجو صحو ، وصوت خرير الماء يصاعد نغماً شجياً يلعب بالفؤاد ويمانق القلب ويهز الشاعر .

هناك في موكب الحياة على بساط الطبيعة السندسى وهو يتراقص في رأى العين ليوقع لحناً عذباً فيه جمال الحياة وجمال الموسيقى ...

وقلت « إن الوطن فكرة تتفجر من خلالها ألوان من صراع القوميات العاصف وتفور من جنباتها ضروب من الحروب الطاحنة تدفع العالم ليتردى في هاوية من الهلاك والدمار ... هاوية ما لها من قرار ... آه ، لو أصبحت الدنيا كلها وطناً واحداً ، إذن لانمحت الآثام والشرور ! والوطن هو قانون الغابة في المملكة الحيوانية لأنه يوحي للأسد بأن يحمي حوزته ويذود عن عرينه ، ثم لا يتورع عن أن يقتحم كناس الظبى الوديع فيفتك به ويهدم داره » .

ونسيت أن الوطن هو أم يتدفق الحنان من قلبها ، وأب يتوثب العطف من حناياه ، وأبناء هم نور العين وجمال الحياة وبهجة العمر وسعادة القلب ، وأهل تهدأ بهم النفس ويأنس إليهم الفؤاد ، وهو عش الطير يأوى إليه ليجد الراحة من عناء العمل ويلمس الطمأنينة من عراك العيش ويشعر بالأمن من فزع العاصفة . أرأيت – يا صاحبي – طيراً يحوم حول بقايا عشه المتهدم بعد أن عصفت به ريح صرصر عاتية أو عبثت به يد غشوم قاسية ؟ إنه – ولا ريب – يتضرم أسى ولوعة ويتنزى ألماً وحسرة لأن عشه الحبيب قد تمزق فوجد – في قرارة نفسه – فقد وطنه العزيز .

هذا هو الوطن في نفس الطير ، فما بال الإنسان ؟ ولكنك أنت أحسست الضياع في طفولتك والحرمان في شبابك والوحدة في رجولتك ، فلا عجب إن أنت كفرت بالوطن لأنك لم تستشعر معناه إلا في تلك الحجرة الضيقة المظلمة في ذلك الزقاق القذر الوضيع حيث عشت وحدك ضائعاً منبوذاً ؛ فحملت لأهلك ووطنك كراهية وبغضاً ، وثارت نفسك حقداً وحسداً ، وحاولت – جاهداً – أن تضع من جمال الوطن وفتنته وأن تثلب فنونه وآدابه وأن تحتقر ذكاءه وعبقريته وأن تحط من صفائه ورونقه عسى أن تشفى داء نفسك السقيمة أو أن تنقع غلة قلبك المريض ورحت تنافح عن الأجنبي وتشيد بمله وترفع من قدره لأنه نفخ فيك أنت ، يا صاحبي ، من روحه ووسمك بسمانه وخلق منك فيلسوفاً كبيراً ، تفلسفت آراؤه فخان الوطن والدين واللغة .

***

وسمعتك تقول : « أما الدين فهو غل ثقيل ينحط بهم

الرجال عن أن تنهض بجلائل الأعمال ، وهو خرافة الأخلاق السامية ، وهو روح التخاذل والتواكل . ألا تعلم بأن اليهودي يتوسل إلى الثراء بالسرقة والربا ، ثم يسيطر — بالمال — على الأمم يصرفها كيف شاءت أنانيته وأطماعه ؟ وأن الدول القوية تغتر الشعوب الضعيفة بكلمات الشرف والعدل والرأفة وما بها غير الرياء والمكر والخداع وغير شره المال وكلب الذهب ؟ وأن الأخلاق القوية لتصطرع في نفس الرجل القوي مثلما تصطرع الأحزاب في قلب الأمة الفتية فتنهش لحمها وتمتص حيويتها » .

ونسيت أن الدين نور سماوي يهبط إلى الأرض فتنجاب له ظلمات الحياة ومتاعبها ، ويتدفق في نواحي الروح فيغمرها بالسلام والطمأنينة ويجذب الإنسان عن النوازع الأرضية ويترفع به عن الوساوس الشيطانية ليلبس ثوب الملاك وهو إنسان يسير على الأرض ...

إنني أذكر — يا صاحبي — يوم أن أرغمت على أن أعيش في قرية نزل بها بلاء الحمى النخاعية الشوكية يحطم أهلها ويعصف بشبابها فانطلقت إلى طبيب القرية — وهو صديق — أسأله دواء أتقي به شر هذا الوباء الجارف ، فما راعني إلا أن أرى في نظراته علامة الدهشة ، فقلت له ! « ما بالك ؟ » قال « ألست مسلماً ؟ » قلت « بلى ، وما للإسلام ولهذا البلاء النازل ؟ » قال . « فأنت تتوضأ خمس مرات كل يوم ، وفي كل مرة تتمضمض ثلاث مرات ؟ » قلت « نعم ! » قال « هذا وقاء من شر هذا البلاء » ثم اندفع في حماسة يحصي الفوائد الصحية للوضوء والصلاة . هذا هو رأي العلم في بعض معاني الدين ، فماذا تقول فلسفتك أنت ؟

والدين يشفي الأدواء الاجتماعية مثلما يشفي الأدواء الجسمانية

وسمعتك تقول « وأنا رجل أناني لا أعتقد إلا في الكسب المالي ولا أوقن إلا بالفوز المادي . وهذا « فلان بك » رجل عظيم ، سلك إلى غايته طرقاً لا يردعه عنها دين ولا خلق ، فزوجه فتاة شابة ذات جمال ودلال تمهد له السبيل الوعر وتفتح له الباب الموصد ثم تدفعه إلى الهدف في سهولة ويسر ، وهو من ورائها يندفع حتى كاد أن يبلغ . ولو أنه تشبث بخرافة الدين أو تعلق بسراب الأخلاق لقعد عن الغاية وتخلف عن الركب » .

ونسيت أن الرجولة والشهامة والنزاهة كلها من أمور الدين .

ثم قلت « إن من عبث الأخلاق ما ترى : فالفضائل أشياء نسبية ، يتحلى بها الرجل من أوساط الناس فيبدو في أعين الناس فاضلاً كاملاً ويتمسك بها الرجل وهو من العظماء فيتمثله الناس منافقاً مخادعاً . وإن الناس ليقدرون بالرجل العظيم إن هو خلا إلى المسجد والمسبحة والمصحف بقدر ما يسخرون من الرجل العادي إن هو عكف على مجالس الخمر والقمار والفجور . وإن الرجل العظيم ليسرق الآلاف فلا تدريه عين ولا يحتقره قلب ، وإن سرق الرجل العادي درهماً واحداً كبّله القيد الحديدي وإن الزعيم اللبق ليسطو على الشعب فيستلبه من ماله ومن مشاعره ليعبث بها في لذائذه ومسراته ثم لا يجد إلا التبجيل والتقديس » .

ونسيت أن ميزان الأخلاق — في رأي الدين — واحد لا يتغير : فالسارق لص أبداً ، ومن يفرط في عرضه هو .. هو الديوث .

ولكن لا عجب ، فأنت تريد أن تبلغ غاية المجد في غير كد ولا جهد ، وإن المرء ليستطيع أن يشبع رغبات نفسه ونوازع قلبه عن طريقين : الجهاد المتواصل والاستخذاء المهين الوضيع . وأنت قد دأبت على أن تستخذي لرئيسك لتكون — في يوم ما — رجلاً ذا مكانة وشأن . وفاتك أن المجد الذي يقام على دعائم من المداهنة والخداع والتمويه مجد متداع يوشك أن يهوي وينهدم .

• • •

وقلت : « أما اللغة فقد انحطت عن غيرها من اللغات الحية ، فما ذا فيها غير كلمات صلبة جاسية وعبارات جافة قاسية وألفاظ واهية متداعية ، في حين أن اللغات الغربية تموج بالحياة وتنبض بالعقل وتخفق بالثقافة وتتألق بالعلم . ونحن أمة وهى عزمها وانحلت قوتها فذهبت — في ضعف — تفخر بما تلفظ بطن الأرض من آثار وتتعلق بأهداب خيال زال منذ زمان . لقد أصابتنا كبوة لا نستطيع أن نفيق منها إلا أن تنغلق أذهاننا في وجه الثقافة العربية الفجة لتتفتح للثقافة الغربية النابضة » .

ونسيت أن في اللغة مجد الأمة وعزتها القومية ، وأن من خلالها تتأرث حرارة الوطنية والكرامة . هذه اللغة — يا صاحبي — قد وسعت علوم اليونان وفلسفتهم في فجر النهضة العلمية الإسلامية واقتحمت باب الرياضة والفلك والطب ، ولم تقصر عن العلوم

الطبيعية والميكانيكا ... فوضعت بذلك أسس النهضة العلمية فى أوربا حين كان الغرب يغط فى سبات عميق ويرسف فى أغلال من الجهل والعمى .

وغفلت عن أن المكتبة العربية التى بين أيدينا الآن لا تمثل إلا خمسة فى المائة من إنتاج الذهن العربى الشرقى ، فلطالما عبث بها الفاتحون فأوسعوها حرقاً وتمزيقاً وقذفاً فى أعماق النهر .

أملك – يا صاحبى – تؤمن فى قرارة نفسك بما أقول ، ولكنك لست القيمة ذات مرة ... أيسها انتزل عن كرامتك ولتنفيذ المعانى السامية للوطن والدين والأمة .

كامل محمود حبيب

الأعـــــلام والرايات

للأســـــتاذ أحمد رمزى بك

أرى الراية الصفراء يرى اصطفاقها بنى أصفر بالراعفات اللهاذم
فتسبى فلسطيناً وتحمى جزائراً وتملك من يونان أرض الأساحم(١)

إن التاريخ الإسلامى بأكمله لا يزال بكراً لم يدرس بعد الدراسة العلمية الصحيحة . وأغلب ما نشر من الكتب الحديثة عنه هو من قبيل جمع المعلومات وتبويبها ولذلك جاء أكثر ما بين أيدينا من المطبوعات وهو لا يتعرض لحل مشكلة من مشكلات البحث ولا تقضى بأمر نهائى فى مسألة مستعصاة .

وقد أثير أخيراً فى مجلة الرسالة موضوع لون الراية التى اتخذها صلاح الدين لجنوده(٢) ، واتخاذه اللون الأصفر الذى بقى علماً للأيوبيين وملوك مصر من دولتى الأتراك والشراكسة .

والكتابة عن موضوع الأعلام وألوانها ، قد تكون جزءاً من الكتابة عن أنظمة الجيوش الإسلامية وتقاليدها ، وقد تكون جزءاً مما أطلق عليه القدماء اسم ترتيب المملكة ونظام المواكب العظام ...

(١) الروضتين جزء ٢ ص ١١٦ .

(٢) الرسالة عدد ٨٢٠ ص ٣٤٢ بحث الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم عن القوة الحربية لمصر والشام فى عصر حروب الصليبيين

ويدخل فى ترتيب المملكة نظام الملك وتقاليده وأبهته وقواعد المراسم فى الحفلات العامة .

وكل هذه المسائل لم تدرس بعد الدراسة الكافية فى الدول الإسلامية ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة المملوكية أو إلى نهاية الدولة العثمانية ، ثم قيام الأسرة العلوية بمصر .

وقد تعرض لمثل هذه الأبحاث المرحوم جورجى زيدان بك فى كتابه عن تاريخ التمدن الإسلامى ، واعتقد أن ما جاء فى هذا الكتاب هو من قبيل جمع المعلومات المتفرقة ، لا من قبيل الدراسة العلمية الصحيحة ، ولم يصل إلى علمى بعد أن هناك من تعرض لدراسة هذه الأمور دراسة علمية سوى الأستاذ « ماير » بالجامعة العبرية بمدينة القدس الذى أخرج كتاباً عن « الرنوك » ووضع بذلك أساساً علمياً يصح أن يتخذ لزيادة الأبحاث وتطورها ومعرفة أصول الرنوك وألوانها وهو عمل يحتاج إلى عناية وتدقيق وإلمام باللغات الشرقية ومدنيات الشعوب الطورانية ولهجاتها ومقدار تأثرها بمدنيات آسيا وكل هذا عمل لا شك أن المستقبل كفيل بتحقيقه .

أما ما يخص جانبى ترتيب المملكة وتنظيم الجيوش ، فلكل دولة من الدول الإسلامية لها طابعها الخاص بها . ويمكن فيما يخص مصر أن نقسم البحث إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ترتيب المملكة فى زمن الخلفاء الراشدين إلى آخر الدولة الأخشيدية .

القسم الثانى : الدولة الفاطمية .

القسم الثالث : الدول الإسلامية التى بدأت من عهد صلاح الدين إلى ابتداء الحملة الفرنسية .

أما الكلام عن القسم الأول ، فكان ولا يزال ميداناً للبحث والاكتشاف العلمى وجمع المعلومات ، ويظهر أنه كان محاطاً بالغموض فى العصور الماضية بدليل أن صاحب صبح الأعشى يقول إنه لم يتجر له معرفة ترتيب المملكة فيها ، والظاهر له أن أغلب النواب والأمراء حينئذ كانوا على هيئة العرب واستمروا كذلك حتى ولى مصر أحمد بن طولون وأبناؤه فأحدثوا فيها ترتيب الملك . وهذا الباب الأخير من القسم الأول أى من ابتداء الدولة الطولونية

إلى نهـاية الأخشيدية يحتاج إلى عناية الباحثين ، والدخول فيه عسير لأن مواده لا تزال قيد البحث والتنسيق .

فإذا دخلنا العصر الفاطمى ، نجد أنه كان موضع عناية المتقدمين وأن بين أيدينا مادة للبحث مدونة ومبوبة وتصلح للدرس والمقارنة .

أى أنه يوسع الكاتب أن يتناول ترتيب المملكة من جهة نظام الملك وتقاليده وأبهته وقواعد الرسم فى الحفلات العامة كما قلنا ، ثم يعرض للابس التشريفة الكبرى وما كان يلبسه الخاصة والعامة والجند والأمراء ، ثم يخلص إلى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العامة كالتاج وشدة الوقار والمظلة وغيرها .

أما الأعلام فى العهد الفاطمى بالذات ، فيحتاج درسها إلى احتراس شديد ، وكذلك دراسـة السلاح وأصناف الجند وتعبئتهم فى الصفوف والمواكب ، وأعتقد أن لدينا من المواد والمعلومات ما يجعل دراستها تحت متناول يد الباحث ، لو كان ملماً بالقواعد المعمول بها فى العالم الآن ، إذ لكل دولة من الدول القائمة ومنها مصر مراسمها الخاصة بها وتقاليدها ، كما أن لجيوش البر والبحر قواعد تختلف بعضها عن بعض ولكنها ترجع فى النهاية إلى أصول متعارف عليها . وقد نجد فى بعض هذه الأنظمة بقايا من آثر الشعوب الشرقية واضحاً ملموساً(١) .

فإذا اطلعنا على أنظمة الجيش البريطانى ، نجـد أن قواعد الأعلام والرايات واستعمالها منظمة فيما يخص ما يرفع منها للملك وللقواد ولأصناف الفرق ، ونجد قواعد التحية بالمدفعية وأنظمة خاصة بالموسيقى(٢) .

وما يقال عن الجيش البريطانى ينصرف أيضاً إلى الجيش الإيطالى ، فقواعد التحية بالأعلام وغيرها منظمة فى كتب معمول بها يطلق عليها Norme Per il Servizio di Presidio

فهذه قواعد قائمة إلى اليوم ونحن فى حاجة إلى الإلمام بها وتعرفها قبل الدخول فى موضوع الأعلام والرايات ولو كان الكلام عنها تاريخياً ؛ إذ أن إخراج ما فى بطون الكتب من المعلومات وتنسيقها يحتاج إلى تفهم ما يجرى به النظام والعرف فى الوقت الحاضر لكى يجىء عملنا على أساس علمى .

* * *

قرأت فى البحث الذى نشرته مجلة الرسـالة للأستاذ بدوى قوله فى تبرير اختيار صلاح الدين للراية الصفراء ، وكأن فى ذلك إشارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — فهى مستقلة ذات كيان خاص بها » .

وأختلف معه فأقول :

أولا : إن إعادة الخطبة لبنى العباس لم يجعل من مصر ولاية عباسية وإنما كان هذا العمل دينياً أكثر منه سياسياً أو إذا شئت هو إعادة اعتبار المذهب السنى وضم ولاية من الولايات إلى الأقطار التى تدين بالولاء الدينى لخليفة بغداد(١) .

ثانياً : إن صلاح الدين حينما اتخذ اللون الأصـفر وإن كان يؤمل فى الاستقلال بولاية أو سلطنة لم يقصد ولم يبرر عمله باختيار لون خاص يضمه على أعلامه .

إذن علينا أن ندرس لون العلم على أساس غير هذه الناحية التى أشار إليها الأستاذ بدوى ويخيل إلى أن العصر امتاز بوجود نظامين : نظام الخلافة العباسية ونظام الملك . وعلى هذا يمكن استخلاص بعض الحقائق اللازمة لهذا الاختيار :

للخليفة شعارها وللسلطنة شعارها :

إن اختيار اللون الأسـود لبنى العباس قديم والـكلام عنه يخرجنا عن غايتنا . وهو لون اشتهر به بنو العباس وأصبح شعاراً لهم منذ إنشاء الدولة العباسية ولا يفهم من هذا أن نظام الدولة العباسية وترتيب الملك فيها حرّم استعمال لون آخر بل كان للدولة عدة رايات وأعلام مختلفة اللون والشكل بدليل ما جاء فى الطبرى أن أحد الخلفاء وإنه المتوكل على الله نصب علماً أبيض اللون وسماه لواء العمل وهـذه ناحية كما قلت تبعدنا عن الغرض الذى رسمناه لأنفسنا . ولذلك أعود إلى القرن السادس الهجرى وأقول : إنه ورث ما كان متبعاً فى القرنين السابقين : الخامس والرابع ، أى ابتداء من دولة بنى بويه ثم قيام الدولة السلجوقية

(١) يبدو هنا الأثر واضحاً فى نظام موسيقى الجيوش الأوربية وفى أنظمة كتائب الفرسان مثل « الإهلان » فى ألمانيا وبولونيا .

(٢) Kings Regulations and orders for the Army

(١) وهو ما يدخل فى التفويض العام الذى كان يصـدر من دار الخلافة للمتغلبين من السلاطين « تقليده الأمور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك » .

فالذى ألمسه هو أن العالم الإسلامى الذى يدين بالولاء الدينى لبنى العباس عاش فى تلك الحقبة من الزمن وبلاده تحمل شعارين : شعار الخلافة بأعلامها وألويتها وتقاليدها وشعار المملكة أو السلطنة بترتيبها وألويتها وأعلامها .

ولم يكن هناك ما يحول دون قيام الشعارين أو النظامين فى وقت واحد ولذلك أجزم بأن صلاح الدين حينما أعلن الخطبة لبنى العباس وأقام شعائرهم فى المساجد جاء إلى مصر ومعه شعائر السلطنة أو المملكة المتغلبة . وهى منبثقة من نظام الدولة السلجوقية التى كانت يتبعها الأتابكة ولو فى مظاهرها وشعائرها ، ومنهم نور الدين الشهيد الذى فتح صلاح الدين مصر باسمه . وكان تابعاً له وقائداً من قواده على رأس جنود من التركمان والأكراد الذين يدينون بالولاء للدولة الأتابكية التى تخضع فى أنظمتها وتقاليدها لآل سلجوق الذين يمثلهم رغم استقلال الولايات وتغلب المتغلبين عليهم ما يطلق عليه .

سلطان السلاطين أو ملك الملوك :

وكان هذا اللقب من مسميات الدولة السلجوقية وهو لا يطلق إلا على من يكون فى ولايته ملوك تحت سيطرته . فالملك فى نظرهم من يملك مثل الشام أو مصر أو مثل أفريقية أو الأندلس وتكون عدة عسكره عشرة آلاف فارس على الأقل(1) .

فإن زاد بلاداً أو عددا فى الجيش كان أعظم فى السلطنة وجاز له أن يُطلق عليه السلطان الأعظم فإن خطب له فى مثل مصر والشام والجزيرة ، ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ، ومثل أفريقية والمغرب الأوسط والأندلس كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية » اهـ . قاله ابن فضل الله فى المسالك نقلا عن على ابن سعيد(2) .

تقليد سلطان السلاجقة :

ولدينا وصف كامل المراسم التى اتبعتها خلافة بغداد فى تقليد سلطان السلاجقة وهى جديرة بالتأمل والدرس ؛ لأنها تعطينا صورة حية لأساليب هذا العصر(3) ثم تجعلنا نعود إلى أوائل دولة

(1) الروضتين ج 1 ص 34
(2) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ص 92
(3) راجع تاريخ الدولة السلجوقية ص 13

بنى بويه فنجد أن هذا التقليد اتبع فى عهد عضد الدولة فناخسرو الذى كان أول من خوطب فى الإسلام بالملك شاهنشاه(1) . ولدينا صورة لتقليد صمصام الدولة سنة 373 هـ لا تختلف فى مظاهرها عن تقليد السلطان السلجوقى سنة 447هـ(2) . ونعود إلى هذه الحفلة فنعرضها كما جاءت فى كتب الأقدمين :

جلس الخليفة القائم بأمر الله يوم السبت 25 ذى القعدة سنة 447 هـ دخل عليه سلطان السلاطين طغرل بك .

تُوِّج وطُوِّق وسُوِّر .

أفيضت عليه سبع خلع سود فى زيق واحد واتخذت له بها ممالك الأقاليم السبعة .

شرف بعمامة مسكية مذهبة لجمع بين تاجى العرب والعجم .

لقب بالمتوج والمعمم .

قلد سيفاً محلى بالذهب .

عاد وجلس على الكرسى .

قام ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن لوضع التاج الخسرورى .

سأل مصافحة الخليفة فأعطاه يده دفعتين

قلده سيفاً آخر كان بين يديه .

ختم له بتقليد السيفين ، فقلد ولاية الدولتين .

خاطبه بملك الشرق والمغرب .

من ذلك يتضح أن تقليد الخليفة للسلطان تم بمقتضى مراسم موضوعة روعى فيها جلال سلطان الخلافة وعظمة سلطان الأرض قارن هذه المراسم بحرص الملك الظاهر بيبرس أن يتم تقليده طبقاً لها عند إعادته للخلافة العباسية فى مصر مع الاختلاف فى بعض مظاهرها .

(للكلام بقية) **أحمد رمزى**

(1) المنتظم من تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى ص 113 ج 7
(2) بنو بويه سنة 373 هـ ذيل كتاب تجارب الأمم للوزير أبى شجاع اللقب ظهير الدين الروزراوى ص 84 وفيها ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمة السوداء وسور وطوق وتوج ، وعقد له لواءان وحمل على فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه مثله وجرى عهده بتقليده الأمور فيا بلغت الدعوة من جميع الممالك وعاد إلى داره وجددت البيعة وأطلق رسومها وأثبتت الدعوى وغيرت السكة .

فلسفة طاغور الأخلاقية :

الآلام ثروة الإنسان الناقص

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

ان طاغور الذى برأ الحياة من الشر ، وأرجع وجوده فيها إلى عصيان الإنسان لقانون الأخلاق ، لم يغب عن باله ما يعترى الإنسان من نقص فى عقله أو فى إرادته ، ولم يغفل ما يسببه هذا النقص للإنسان من متاعب ، وما يجره إليه من فشل يثير فى نفسه ألواناً متضاربة من الآلام قد تشق حياته وتنفث فيها التعس .

ومع ذلك لم يلق طاغور تبعة هذه الآلام على الحياة ، وأخذ يدلل على أنها لا تتعارض مع السعادة ، ولا تسوق الإنسان بالضرورة إلى الشقاء . وزعم أن الله خلق قوى الإنسان ناقصة وإرادته محدودة ، وأن النقص فى حد ذاته لا يؤذى الإنسان ، وأن حدود الإرادة لا تحد من نشاطها ، وإنما الذى يؤذيه هو أن تظل قواه على ما هى عليه من نقص ، وتبقى إرادته حبيسة حدودها على الدوام بدون أن يسعى لاستكمال قواه الناقصة ، ولا يجد فى أن تصير إرادته المحدودة غير محدودة .

ولو خلق الله بادئ ذى بدء قوى الإنسان كاملة وإرادته غير محدودة ، لفقدت قدرته اللانهائية من ناحية كل معنى لها ، ولتعذر على الإنسان من ناحية أخرى أن يرتقى فى سلم الوجود حتى يصل إلى تلك الدرجة الروحية النموذجية التى يندمج فيها وجوده فى وجود الله ، ويصبح هو والله حقيقة واحدة ؛ لأن القوة لا تتطور إلى أن تتم نموها إلا إذا دفعها النقص لتكمل ، وأن الإرادة لا تتحرك حتى تصبح غير محدودة إلا إذا كانت تعمل على التحرر من نطاق حدودها الذاتية لتفنى فى إرادة الله غير المحدودة . فلولا نقص الإنسان ما عرف الكمال ، ولولا حدود إرادته ما صارت غير محدودة .

فنقص الإنسان ونهاية إرادته لا يسيئان إليه بقدر ما يدفعانه إلى طلب أرقى مراتب الكمال ، وبلوغ السعادة القصوى بالتلاشى فى لا نهاية الله . وما خص الله الإنسان بهما إلا ليمكنه من العودة إلى المنبع الذى انبعث منه ، ويحفزه على الفناء فى روحه الكبرى التى تشمل كل الوجود . وأن جود النقص وبقاء نهاية الإرادة على ما هما عليه ، يعدان الحياة بسموم الألم وما يتفرع منه من حزن وخوف وقلق .

ولذلك يجب على الإنسان أن يفتش عن أسباب نقصه سواء أكان فى عقله أم فى إرادته ، ويعمل على أن يقومه ، ولا ييأس من طول مدة التقويم ، ويثابر على معالجة عقله وإرادته حتى يصل إلى مكانة من الرقى الروحى ينمحى فيها شعوره بأى نوع من الآلام سواء أكانت من تلك الآلام التى تنتاب النفس حين يصدر عنها إثم من الآثام ، أو من تلك الآلام التى تطرأ عليها عند الفشل فى أداء عمل من الأعمال .

أما عن الآلام التى سببها اقتراف الخطايا ، فترجع إلى جهل الإنسان بجوهر حقيقته وغفلته عن أن إرادته مرتبطة بقانون خلقى ليس إلا صورة من صور سرور الله التى تتجلى فى الكون ؛ وأنه يجب على النفس أن تعلم أن الله مستقر فيها فى قالب القانون الخلقى ، كما يجب على الإرادة أن تأتمر بأوامر هذا القانون ، فإنه هو الذى يفك أسرها ويساعدها على تحطيم قيود الرغبات والأهواء ، ويفتح لها الشعب لتنساب تدريجياً إلى لا نهاية الله ، وتوصلها إلى تلك الحالة الروحية التى تبلغ بها ملكوت السماء ، فيستحيل عليها ارتكاب الذنوب التى تقلقها وتبعث فيها الأحزان ، وإنما تمتعها بنعيم الحياة فى الحقيقة المطلقة الأبدية التى لا تتباين فيها جميع الموجودات .

بينما الفشل فى العمل يمكن التغلب عليه بتنمية المواهب ، وترقية الملكات ، وتربية المهارات عن طريق العلم والعمل ، لأن التزود بثقافة توسع من أفق المعرفة ، وتزيد من قوة الإدراك ، تجنب الوقوع فى غلطات تجلب مشكلات شاقة . وإن ممارسة العمل ممارسة واقعية تكسب دراية عملية به ، وبراعة فائقة فى أدائه

إلا أن كثيراً من الناس يزعمون أن هذه البراعة لا تكتسب بدون مشقة ترهق النفس وتذيقها بعض الآلام ، وأن الذين نضجت مداركهم ومهرت قدراتهم لا تخلو حياتهم من آلام ومتاعب ، فضلاً عن أن مجرد وجود الإنسان فى الحياة يكلفه عذاباً دائماً ، إذ يتطلب منه كفاحاً متواصلاً ليحصل على ما يوفر له حاجاته المادية .

ولكن طاغور يسخر من هؤلاء القوم ويصورهم فى صورة من يحسب ثقل ضغط الهواء على جسم الإنسان ، فيجده ثقلاً هائلاً فيبالغ فى تقدير ما يرزح تحته جسم الإنسان من أحمال ، وينسى

أن من خواص هذا الجسم أن تتعادل مقاومته مع هذا الضغط ، بحيث لا يشعر بأي شيء ينوء حمله ، فإن كل ما يلاقيه الإنسان في الحياة من محن وخطوب لا يفوق الطاقة البشرية ، ويشبه إلى حد كبير ضغط الهواء الذي لا نكاد نحس بوجوده ، وأن في قدرة الإنسان أن يقاومه ويتغلب عليه بأقل جهد .

وإذا بحثنا عن سبب شدة وطأة الآلام ، وعنف وقع المتاعب على الإنسان ، وجدنا أنه يرجع إلى أنه ينظر إلى الحياة نظرة ضيقة تنحصر في الحاضر دون المستقبل ، وتقصر مطالب ذاتية عارضة دون المطالب السامية الدائمة ، فإن لم يحرز ما يريد بأسرع ما يمكن ، وفي أقرب فرصة ، وبأقل جهد ، يقلق ويضطرب ويظن بالحياة الظنون . وإن نزل به خطب جزع لضياع غنم عاجل لا يستفيد منه إلا شخصه . وإن خذل في تحقيق مآربه أحس بخيبة مرة تضايقه . وإن عاقته عوارض الحياة دب فيه اليأس والقنوط ، بينما لو نظر إلى الحياة نظرة رحيبة تضم الحاضر والمستقبل ، وتحتضن خير كافة البشر الذي لا يتحتم تحقيقه في الوقت الحاضر ، إذ قد يتحقق في المستقبل القريب أو البعيد لما اكترث بما يقابله من أهوال ، ولما حركت المتاعب كوامن أشجانه ، ولا قدم غير هياب على تنفيذ كل عمل وراءه نفع الإنسانية ولا رهب العذاب في سبيله ، وكان على استعداد دائم لأن يتحمل المشاق طائعاً مختاراً ، ويقاسي الحرمان دون تذمر ، لا يسأم النضال الطويل ، ولا يثبط همته الفشل المتوالي ، لأنه يدرك أن هذه الآلام ما هي إلا قرابين زهيدة فرضت على من يريد أن يحظى بالحياة في الذات الإلهية عن طريق تعميم ضرب من الخير الدائم بين الناس . فمن رضي أن يعاني الآلام لسعد البشر ، تقو عزيمته على تذليل كل عقبة تعترض هذه الغاية ، وتهون عليه نفسه فيضحي بها في سبيل خير الإنسانية ، ويسير سيراً حثيثاً نحو تلك الحياة الروحية التي لا يحس فيها المرء إلا بحقيقة فريدة لا مثيل لها ، هي حقيقة اتحاد الخالق بالمخلوقات التي يتمتع في كنفها بسعادة عذبة هادئة ، ويتلذذ بغبطة حلوة تحيط الإنسان بهالة من النشوة والحبور ، تدفع عنه مرارة الألم ، وتحميه من مس الأحزان .

فطلب الحياة في الله يصهر المعاني المألوفة ، فيصبح السرور الذي تريد أن تنعم به مضنياً ؛ لأن طريقه وعر صعب ، كما يصبح الألم الذي نشقاه محبوباً لأنه يقودنا إلى إسعاد الغير ، ويسوقنا إلى الاتحاد بالله . فمن رحب بالتضحيات من أجل الخير العام المستمر ، يعط لحياته قيمة عليا ينمحي فيها الفوارق بين شتى المعاني التي يحياها عامة الناس ، ويفقد السرور والألم عنده تأثيرهما المتناقض التداول ويتساويان ، ولا يتمايز بعضها عن بعضها بشيء ، لأن التمتع بالسرور لا يحدث بدون مقاساة الآلام ، والآلام هي الضريبة التي تمهد لنا طريق السرور . فالسرور والألم مختلطان ، لا يسهل التمييز بينهما في مثل هذه الأحوال الإلهية .

ولكي يعيش الإنسان في سرور دائم يجب أن يخوض ميدان الحياة الاجتماعية ، ليبني ويهدم ما لا يروقه ما بناه ، ويضع القوانين ويغيرها إذا وجدها لا تلائم خير المجتمع ، ويخلق الأكداس المكدسة من الآراء ، ولا يبالي ما قد يقع فيه من أخطاء فإن استمراره في خلق أفكار جديدة يصحح غلطاته ، ويكشف عن أسرار الطبيعة وقوانينها الحق ، ويخترع مختلف الآلات ، أي يعمل بلا انقطاع ولا يخشى الفشل ، فإنه سبيل النجاح والتقدم ، ولا ينفك يبدل فيما وصل إليه من علم وعمل ، ويغيره ما دام فيها نقص أو عيب ، ويبحث راضياً مرضياً ، لا يفكر مطلقاً في تجنب الألم أو الهروب من المتاعب ، بل يظهر براعته في القضاء على ما به من نقص ويحوله إلى كمال ، ويبرز مهارته في مختلف أنواع الألم من خذلان ونصب وشجن وخوف ، ويجعلها عنصراً من عناصر السرور . فلا ينبغي لأحد أن يتنزل الحياة رعباً من آلامها ومتاعبها ، وإنما يجب عليه أن يتحملها صابراً ، عالماً أن الألم ثروة الإنسان الناقص ، وعلامة على أنه أكبر من حاضره ، وبمثابة قوة دافعة تصيره عظيماً في الحياة ، وتخطو به من حاضره المحدود نحو مستقبل باهر غير محدود .

إن تطور الحضارات ، وتقلب الدنيات ، ونبذ الإنسان للقديم وابتكار حديث يقوم مقامه ، لدليل على أن الإنسان لا يفتأ يجد ويخلق ويسير من مرحلة إلى مرحلة أفضل منها ، حتى يبلغ أقصى درجات الكمال التي تكفل له السعادة المرجوة .

فالشكوى من الآلام والمتاعب شكوى لا مسوغ لها ، ولا ينبغي أن نترك لها أي منفذ لتتسرب منه إلى نفوسنا ، وتلقى فيها نواة التشاؤم ؛ لأن الآلام ضرورية لتقدم الحياة ، ومحك دقيق يقيس رقي الإنسان ويحسب مدى ما وصل إليه من سعادة ويبين ما بقي عليه من أشواط ليصل إلى ذلك السرور السرمدي الذي ينبعث في النفس من توافق حياة الإنسان مع حياة الله .

عبد العزيز محمد الزكي

في دنيا البطولات :

ثلاثة جاهدوا فصدقوا...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

« مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمي ؟ !
وإباء محلق بي عن الضيـ ـم كما زاغ طائر وحشي ؟ ! »
« الإمام الشريف الرضي »

لعلك — أيها القارئ — تخالني حين تقرأ هذا العنوان ، سأحدثك عن ثلاثة من أعلام الجهاد ، ممن تردد ذكرهم على ألسنة الناس ؟ لا يا أخي ! ما أنا وذاك ؟ إن لهؤلاء في مواطنهم من يفي بطولتهم حقها ؛ وإن حديثي عنهم — لو فعلت — لا يجاوز أن يكون إلمامة عابر ، لمح في الأفق البعيد جبلا ، فهو يصف منه تهاويل ما خيل إليه ، دون أن يصل بيقينه إلى كنه مسالكه وشعابه !

إذن فما لي ولأولئك ! ودعني أحدثك عن ثلاثة عرفتهم بنفسي ، وصحبتهم عمراً من دهري . وقد جاهدوا فصدقوا في جهادهم ، حتى ارتقوا إلى مراتب البطولة ، إلا أنها صامتة متواضعة ، لم يتبعها زيف من الجلبة ، ولم يتقدمها بهرج من الرياء.

إن هؤلاء الثلاثة من القرويين ، وإن شئت فقل من (الفلاحين) ، على رأى مواطنيهم (من أبناء الذوات) ! وهم من ثلاث قرى مختلفة ، إحداها نكرة في القرى ، لا يصلها طريق ذلول ، إلا أن يكون انحداراً من شماف الجبال ، أو صعوداً من بطون الوديان . فاذا ما التمست إليها سبيلا ، كنت كمن يرقى في السماء ، أو ينحدر في هاوية ليس لها قرار !

ولا يذهب بك الظن بعيداً ، فتخالهم من سواد الدهماء ! وإنك لتعلم أن الظلمة لا تمتزج مع النور ، وأن الجهل شر ضروب العمى ، وأن من عمى قلبه لا تستقيم له المسالك ، فهو يخبط خبط عشواء لا ينتهي بصاحبه إلى غاية . فلو لم يهذبهم العلم لما أدركوا معنى الجهاد ، ولو لم تصقلهم المعرفة لما استيقنت قلوبهم :

« إن حب الوطن من الإيمان .. »

فهم من أبناء الجامعات ، حملوا منها رسالة العلم ، ثم تقلبوا في الآفاق يؤدون هذه الرسالة وأخيراً هتف بهم الوطن فلبوا نداءه ، ثم عز عليهم أن يهجروه في محنته حين هجره الكثيرون من أبنائه . وكانت العاقبة أن سقط أحدهم شهيداً ولسان حاله يردد قوله :

وأهوى يعفر وجهى ترابك قريراً وذلك جهد المقل !

وبقي الآخران مرابطين صابرين ، أحدهما يجاهد بقلق ، بعد أن ألقى من حوله السلاح ؛ والثاني مازال في خطوط القتال ، يبذل حشاشته ، ويراوغ منيته . يذدمه أمل باسم يحمله على أن يردد في نجواه : « من طلب الموت وهبت له الحياة » .

أتذكر فيما مر بك أن شاعراً قتله بيت من شعره ؟ إنه المتنبي حين هتف به غلامه : « أتفر وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم ؟ »

فرد عنان جواده وقال : « بلى ؛ أنا القائل » ، ثم قاتل حتى قتل .. وإن هذا البطل الذي أسوق إليك نبأه قتلته (كذلك) أبيات من شعره ! أو تدرى كيف ؟ كانت جحافل (جيش الإنقاذ) تمهد للانسحاب من مدينة (الناصرة) ، ماخلا كتائب تنتثر هنا وهناك ، يقابلها العدو وجهاً لوجه . وكان ذلك الفتى يقود كتيبة منها ، ومحمد هو ورفاقه في وجه العدو المنتصر ، حتى ضاقت عليهم السبل ، وكادوا يطوقون .

فالتفت إلى أصحابه يصدر أمره بالانسحاب ، فاذا بأحد المجاهدين يصيح في وجهه — وقد ألهبته سورة الجهاد — : وا ذلاه ! أتفر وأنت القائل : سأحمل روحي على راحتي .. ؟ » فأجاب — وقد أشرق في وجهه نور الشهادة — : « نعم والله ! أنا الذي أقول ذلك » ووثب من مكنه يخترق حجاباً كثيفاً من الرصاص ، وهو يردد بصوت يسمعه من خلفه :

سأحمل روحي على راحتي وألقى بها في مهاوى الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لهـا غايتا ن ورد المنايا ونيل المنى
أرى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادي هو المبتغى
لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتاً كريماً : فذا !!

وسقط المجاهد البطل يلفظ أنفاسه وهو يردد عجز البيت الأخير : « ومن رام موتاً كريماً : فذا !! » وكان آخر ما تلفظ به قوله : « الحمد لله على الشهادة .. » . ولم يكن ذلك أول جهاد قام به ، فلقد كان له قبل ذلك جهاد طويل ، ولكنه في ميدان

آخر . فقد تولى التدريس زمناً فى كلية النجاح الوطنية بنابلس ، كما تولاه زمناً في العراق . فلقن طلابه دروساً فى (الوطنية) ، أضعاف دروسه فى اللغة والأدب . وكان له فى الصحافة المحلية ميدان لايفتأ ينثرفيه من آيات إبداعه شتى الألوان . وقد طوف فى الأقطار العربية المجاورة ، وتعرف إلى جماعة الأدباء فيها ، فأصبح بينهم علماً يعرفه القريب والبعيد . ومَنْ مِن أدباء فلسطين ومتأدبيها لا يذكر القصيدة العصماء التى استقبل بها الأمير السعودى يوم زار بيت المقدس . وكان أحد أبياتها قوله :

(المسجدالأقصى)أتيت تزوره ؟ أم جئته قبل الضياع تودعه ؟

لقد كانت تلك القصيدة — يومذاك — حديث المجالس ، وطرفة الأدباء . وكأنما تكشف له فيها حجاب الغيب ، فنظر من خلفه ما صارت إليه الأمور !

وإن لهذا الشاعر من ضروب القول ما يضيق عن سرده المجال (لو وصلت إليه يدى !) ، وحسبك أنه يقع فى دواوين ! ولا أدرى ماذا فعل الله بآثاره ، وإنى لأعلم أنها كانت لا تزال مخطوطة كلها . ويحضرنى من غزله أبيات — له ما يفضلها — من قصيدة عنوانها (يا غادرة !) قال فيها :

روحى فقد راح الذى بيننا
كالبارح السالف ما أن يعود!

روحى ولا تأسى على حالتى وانسى مواثيقى وخونى العهود
لا تحفلى من ذكر عهد الهوى إن الهوى صعب وحمل يؤدد !

روحى فقد راح الذى بيننا ..

إذا تلاقينـــا فلا تنظرى أرى وميض الغدر فى ناظريك
ولا تشـــيرى لى ولا تومئى وددت لو تقطع كلتا يديك !

روحى فقد راح الذى بيننا
فلعنة الحب وقلبى عليك ..

هـذا هو أحد الثلاثة المجاهدين ، بذل من أجل وطنه غاية ما يملك (وهو دمه !) وخلف من ورائه فى قرية (عنبتا) أطفالا ليس لهم عائل ، وأيما لم يترك لها تراثاً ، إلا أن تكون هذه البطولة الفذة ، تنشىء عليها صغاره ! ! ، فرحم الله الشهيد البطل (عبد الرحيم محمود) ...

يا أخى القارئ ؛ لست أزعم لك أن ما قام به هؤلاء الثلاثة بطولة نادرة ، وأعمال خارقة يعجز عنها الآخرون من بنى الإنسان ! ولكنها مواقف كريمة ، تتمثل فيها الرجولة الصادقة ، ويطمئن إليها الخلق النبيل . وإنك لتسمع فى (مجالس) ، وتقرأ فى صفحات (كتب) ، الكثير من (النجدة والحفاظ ؛ فزيد يأنف الضيم والعار ، وعمرو يأبى الذل والصغار) ! ولكنك حين تلتمس هذا الـ (زيد) ، أو تطلب ذاك الـ (عمرو) ، تجدهما — إلا أن تواتيك المصادفة العجيبة ! — قد تخلفا فى زوايا تلك (المجالس) أصداء تتردد ، وفى صفحات تلك (الكتب) مداداً تحتضنه سطور !!

أرأيت إذن أن الأعمال تقاس بما يحوطها من ظروف ، وأن الشاعر كان صادقاً كل الصدق حين قال : (وبضدها تتميز الأشياء) ! إنك — من غير شك — قرأت قول الطغرائى :

حب السلامة يثنى هم صاحبه عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

ولكننى لا إخالك لقيت من عبث الأقدار ما يقفك ذلك الموقف الذى يجعلك تحس (بنفسك) ما يريده الشاعر من (حب السلامة) ، كأنْ يخيرك بين أمرين : إما الحياة ، وإما الموت ! وإنه لاختيار عسير ، ندر أن تجد فى الناس من يتردد طويلا فى الانحياز إلى أحد شقيه ! ولعلك لا تعجب أن يختار (بنو الموت) شقه الأول ، فهذا هو الذى يحتمله — على علاته — منطقنا الصحيح أو السقيم (لست أدرى !) وهل عسيتك — إن أنت وقفت حيال رجل فر من الموت — أن تستهجن ما صنع ؟ !

وعلى ذلك القياس نجد أن حب السلامة يتساوى فيه الناس جميعاً ، ومن هنا يمتاز من يزهدون فيه ، ويقدمون على الموت بمِلْء اختيارهم ، فى سبيل غاية سامية ، أو ثباتاً على مبدأ يعز عليهم أن يجاوزوا حدوده .. وكذلك كان أصحابى الثلاثة ، فقد أقدم أحدهم على الموت كما رأيت ، لأنه أحب أن يقول فيفعل ، وقال غيره (وهم كثيرون !) أبلغ من قوله ، ولكنهم آثروا العافية ، وهتف بهم (حب السلامة) فخفوا إليه راغبين مسرعين ، كأنما أرهف مسمعهم لندائه شاعريتهم المبدعة ، فسمعوه قبل أن يسمعه أحد سواهم . وسرعان ما انتثروا بين القاهرة وبغداد (ومنهم من جاز البحر إلى قبرس) ، وجعلوا من هناك يحرضون الناس على القتال ! ولكن ذلك الأديب المجاهد ، ثبت لا يبرح مكانه متجاهلا (سلامته) ، فبذل حياته ثمن ذلك التجاهل ، وإنه لثمن لا يملك صاحبه أعز منه .

وقد فعل رفيقاه مثل ما فعل ، إلا أنه لكل أجل كتاب ! فهذا أحدهما تصبح قريته (قلقيلية) فى صميم خطوط القتال ،

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ ابراهيم البطراوى

قليل من المصلحين الاجتماعيين هم أولئك الذين يبحثون مشكلات الشباب بحثاً جدياً خالصاً لوجه الحق . وأقل من هؤلاء أولئك الذين يوفقون فى حل لا تتدخل فيه الأغراض الخبيثة ولا العناصر الذاتية التى تختلف وتتعدد تبعاً لاختلاف الأفراد وتعدد الجماعات .

والشباب بين هؤلاء وهؤلاء يضطرب فى مسالك الحياة حائراً لايدرى – وسط هذا التناقض الفكرى والمذهبى فى كل مظاهر الحياة تقريباً – لا يدرى ما يأخذ ، ولا يدرى ما يترك ، ولا يدرى ما يفعل ؛ ولكن لديه طاقة فتية يتأجج أوارها ولا بد له من استنفادها على أى وجه من الوجوه .

وإنا لنراه – رغم تعدد السبل التى يسلكها فى استجابته لرغباته ونزعاته – يصل إلى نتيجة واحدة هى (الشك) : الشك فى القيم والمثل ، لأنها لم تتكاتف فى الأخذ بناصره وتحقيق غايته ؛ والشك فى العرف والأوضاع ، لأنها تتجاهله فى أكثر الأحيان ؛ والشك فى السياسة ، لأنها تتملقه لنيل مآربها ؛ والشك فى كل شىء حتى فى نفسه ، لأنه أصبح لا يرضى عن شىء حتى عن نفسه : لهذا نراه قلقاً متبرماً بكل شىء ، ثائراً على كل شىء .

ويحاول المصلحون الاجتماعيون أن يعزوا هذه الظاهرة – ظاهرة الثورة فى الشباب – إلى عوامل فسيولوجية وسيكولوجية (معينة) يستغلها أرباب المذاهب السياسية والاقتصادية فى تحقيق غاياتهم بإثارتها بأنواع المثيرات المغرية .

ويبدأ أولو الأمر يعالجون المشكلة على هذا الأساس ، ولكنهم عبثاً يحاولون أن يصلوا إلى نتيجة .

وإنهم ليخطئون كثيراً حين يقدرون أنهم حصروا العلة فى هذه الدائرة الضيقة .

والواقع أن الأمر أعظم وأخطر بكثير مما نتصور ، بحيث تتضاءل بجانبه جميع الاحتمالات التى قدرناها حتى الآن : إنه يتخطى العوامل الفسيولوجية والسيكولوجية إلى ما وراءها : إلى تلك

فلا يضن بحياته على تلك القرية ، ويندفع فى سواد أبنائها يقاتل كما يقاتلون ، ويسعه ما يسعهم من شظف العيش وعنائه ، ثم يعدهم ألا يبرح مكانه بينهم ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

ويحين له فرصتان ، إحداهما فى العراق والأخرى فى الشام ، ولكنه لا يحول عن عهده الذى قطع ، ليغتنم فرصة العمل – على حاجته إليه – بينما اغتنمها الكثيرون من زملائه ! وما زال الأستاذ (أحمد السبع) إلى اليوم هناك ، يرتقب ما الله صانع ، فحيا الله المجاهد الكريم ، فقد صدق الوعد وحفظ العهد !.

وذاك ثالثهم يعود إلى قريته « بروقين » ، وهى التى حدثتك أنها : (نكرة فى القرى) ، بعد أن يجاهد حتى تغلق فى وجهه مسالك الجهاد ، ويقبع فيها إلى أن تحل تلك الليلة المشؤومة ، ليلة سقوط مدينة اللد ، وهى منها على غلوة أو غلوتين . (ومنذا الذى لم يسمع بكارثة اللد وجارتها الرملة ؟) وينطلق أهل القرية بدون العدة للجلاء ، ويتفقون على ذلك جميعاً كبيرهم قبل صغيرهم ؛ ولكنه هو وحده يعارضهم فيما اتفقوا عليه ، ويعلن لهم أنه لن يبرح مكانه حذر الموت ، ولن يسلمه ما دام فيه عرق ينبض ! فتثبت بقوله خائر العزائم ، فلم يبرح أحد بيته !

وما زال هذا الأستاذ المناضل هناك ، يصدر جريدته (البعث) على مقربة من هذه القرية ، ويضرب صفحاً عما يعرض له من فرص ، وإن اختصاصه النادر يضاعف الحاجة إليه ، وإن آثاره العلمية بين مخطوط ومطبوع ، تدل على سعة اطلاعه فى موضوعه الذى انصرف إلى التخصص فيه ، ولكنه لم يستغل السانحة التى استغلها سواه ، وذلك ثباتاً منه على مبدئه الذى أنف أن يحول عنه – على رغم ما حاطه من سيئ الظروف – وقليل ما أنك !

لقد سبق أن تحدثت فى (الرسالة الزاهرة) عن هذا المجاهد ، وأتيت على ذكر آثاره مفصلاً حين تحدثت عن ذوى الآثار العلمية فى موضوع (الأدب فى فلسطين) منذ عام . وذلك هو الأستاذ (عبد الله الريماوى) ، ثالث ثلاثة جاهدوا فصدقوا ، فحق لى أن أسجل جهادهم الصامت ، وأنا أردد فى أعقاب ما سردت قول الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

محمد سليم الرشدانى

« ماجستير فى الآداب واللغات السامية »

الحواجز القوية التي تضبطها وتمنع انفجارها وانحرافها ، بل وتحول بينها وبين الاستجابة لأي مؤثر في غير ما رسم لها .

نعم ، إن الاتجاه يهدف إلى ما وراء هذه الجزئيات ، إلى الكليات ، محاولا القضاء عليها حتى لا يكون ثمة شيء يقف في سبيله بعد ذلك . هذا الشيء الذي يخشاه أرباب المذاهب السياسية والاقتصادية ، ويحسبون له ألف حساب ، متحينين كل فرصة وكل وسيلة للقضاء عليه ، هو (الدين) . ويتذرعون بمختلف الحيل والأحابيل لإلغاء فطرة الله : تارة باسم الحرية الفردية ، وتارة باسم الأدب والفن ، وتارة باسم العلم والفلسفة ، وتارة باسم الوجودية ، وتارات بإشاعة الفجور ومغرياته بمجوناته من إلحاديات وأشياء يزعمون أنها طابع العصر وعنوان المدنية !

والشباب موزع يحس صراعاً في ذات نفسه — من حيث يدري أو لا يدري — بين هذه الفلسفات والثيرات ، وبين ما ورثه من حقائق الدين ، وعقائد الألوهية ، ومواضعات العرف . ونتيجة لهذا تتشتت قواه وتنقسم شخصيته بين عاملي الشك واليقين ، وثم تتملكه الهموم ويتنازعه الشقاء ، وما يتبع ذلك من نزعات منحرفة قد تودي بحياة الشاب في بعض حالاتها . وأظننا ما زلنا نذكر تلك النزعة الرومانتيكية التي طغت على أوربا حيناً فنشبت آنئذ موجة الانتحار المشهورة ، والتي هونت على الشاعر الألماني الفيلسوف جوته سبيل الانتحار تخلصاً من بأس الشك ، حتى يرى ما ذا يكون وراء الطبيعة ، أحقيقة هو أم كذب بقوله لنفسه : « لتقتحمي الطريق الذي يوصلك إليه حتى ولو اعترضتك نيران الجحيم المتسعرة » ... لولا أن تداركه لطف الله . وربما يحدث غير ذلك ، فينغمس الشاب في الشهوات تخلصاً من آلامه حتى يهلك . وما إلى ذلك من مآس لا يسمح المقام بذكرها .

ولكن أين إذن موضع الحق من ذلك كله ؟

هذا ما سنحاول الكشف عنه فيما يلي :

رأينا فيما سبق كيف أن الاجتماعيين جانبهم التوفيق في تلمسهم أسباب الثورة عند الشبيبة في حدود العوامل الفسيولوجية والسيكولوجية ليس غير ؛ فتورطوا في غلطة لن يغتفرها التاريخ لهم أبداً ، وهي نصحهم بالعلاج السيكولوجي لنفسيات الشبيبة ، فما ذا ترون إذن يكون هذا العلاج ؟

لا شيء عند السيكولوجيين غير حل العقد الفرويدية وما إليها بالطرق التي نعرفها جميعاً ، وغير تجنب عوامل الكبت بما يسمونه (التنفيس) ؛ وفي سبيل هذا التنفيس يهون كل مرتخص وغال .

ويجب قبل كل شيء أن نعرف أن الحياء مرض نفسي ، ولا يمكن أن تكون النفس كاملة إلا بإزالة هذا المرض الخطير (يعني بقلة الحياء)!

ومن أجل التنفيس لا بأس عندهم من إباحة شيء من المحرمات (ولكن في حدود الاعتدال) هكذا يقولون ! ومن عوامله في النزعة الجنسية مثلا الاختلاط والرقص وترويج الوريقات الخليعة التي تسير على مذهب الصراحة الجنسية ، وما في هذا المنى الفاجر .

وكأن لسان حال السلطات يقول : إن لم تكن هذه الأشياء مجدية ، فهي على كل حال ملهية ! إي والله ! إن هذا هو ما حدث !

ويل لهؤلاء المحترمين(١) إن سكتوا بعد اليوم عن هذه الحال وظلوا هكذا متشبثين بذنب الحية دون رأسها !

ألم يعلموا أن في هذا العلاج الجنسي والنفسي إشاعة للفجور، وأن ترويج الفاسد والفجور هو أفعل سلاح تقضي على العقائد والمبادئ حتى الآن ؟!

والقانون الذي يمكن أن نستنتجه من استقراء حوادث التاريخ قديمها وحديثها هو [أن الثورات وليدة الفجور والإباحية التي هي معول الأديان والعقائد] . وإن أصحاب المبادئ السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تتنسم مبادئهم الحياة إلا عن طريق هذا الذي استنتجناه الآن وسميناه — ولو على سبيل المجاز — قانون الهدم الاجتماعي .

والقاعدة التي نستخلصها من تطبيق هذا القانون هي أن كل ملحد أو داع إلى الإلحاد لا يمكن أن يكون غير واحد أو أكثر من هذه الثلاثة : (استعماري ، إباحي ، مغفل كالقرد لا هم له إلا أن يقلد ، فهم أو لم يفهم) . ولا يجوز أن يتعدى الملحد بأي حال هؤلاء الثلاثة .

تلك مقدمات لا بد منها لكي نعرف هل الملحدون الذين بلبلوا أفكارنا وورطونا في هذه الأزمات النفسية الخطيرة — يؤمنون حقاً بمبادئهم تلك ، أم أن لهم غايات أخرى وراء ما يظهرون ؟

وإذا كانوا هم لا يؤمنون بهذه النظريات ذاتها إلا بقدر ما تحقق لهم من أغراض كما أثبت التاريخ على نحو ما رأينا ؛ فواضعية

(١) الذين يشيرون بالعلاج السيكولوجي دون غيره .

أعمارنا وزهرة شبابنا فى شىء ليس له حق عند أصحابه وجود ! على أننا متى عرفنا هذا وتيقناه ؛ فلن تسحرنا أقوالهم ولن نقع – بعد اليوم – فى شباكهم ، وكفانا بهذه المعرفة العاملة سعادة !

والآن يبدو لى أننا بحاجة لأن نعتلى الزمن لحظات عبر التاريخ فى سياحة علمية نلم فيها إلمامة قصيرة بشئ من ختل هؤلاء الممثلين البارعين :

هذه هى فرنسا ظهر فيها فولتير وروسو « باسم حماة العدل ، ورافعى الظلم ، ودعاة الحرية بإثارة الفكر ، وهداية العقول » . وبدأ راهبا (الحرية) هذان ينشران مبادئهما التى تتلخص فى تسفيه الأنبياء وإنكارهم الألوهية بزعم أنها خرافات . وأن الدين الحق هو دين الطبيعة الحرة ، والمعبود الحق هو الشهوة ...

وبذلك حدثت المآسى الخلقية التى يذكرها التاريخ خجلا ، والتى رأينا صورة منها فى اعترافات روسو نفسه .

وعلى أثر تسمم الناس بهذه الآراء قامت الثورة المعروفة على أنقاض الدين .

وهذه هى الروسيا لم تتمكن فيها مبادئ ماركس من الوجود إلا على أساس الشيوعية الإباحية التى أعقبتها الثورة على الدين والنظم السياسية والاجتماعية والقضاء على ذلك كله .

والأمثلة تفوق الحصر ولكن ليس هذا محلها : إنما اقتصرت على مثالين حديثين يذكرهما ويعرف تفاصيلهما كل منا ، وإن التاريخ أجمع من أوله إلى آخره هو حجتى وبرهانى على صدق الأرقام التى ذكرت : فما من صاحب مذهب إلحادى إلا وله قصد غير الإلحاد فى ذاته .

أما فى الأمم التى لم تنضج ثقافتها فإنى أصدق أن فيها من يلحدون إخلاصاً للالحاد فى ذاته ، أو لأن الإلحاد قال به ديكارت أو فلان من الناس ، أو للاشتهار بالمخالفة ..

ويعلم الله أنهم – على حسب مقاييس سادتهم الغربيين – لا يفهمون من معانى هذه الألفاظ التى يتشدقون بها غير أسمائها ، وأن هذا التقليد الجاهل فيما يضر ولا يفيد – إن دل على شىء – فليس إلا على أحط دركات الانحطاط الخلقى والعلمى

أما الذين يدعون إلى الشك بدعوى العلم لأن ديكارت قد قال به فى يوم من الأيام ، فلست أدرى إن كانوا يفهمون حقاً منهج ديكارت ذاك ، هل شك ديكارت فى الأديان وفى العلوم وفى التاريخ وفى كل قديم لأنه قديم وكفى ؟ وهل كان يصل إلى نتيجة لو أنه قدر وحدث هذا ؟

ومهما يكن فياليت هؤلاء فعلوا ما فعل ديكارت ؛ إذن لكنا جنينا من ورائهم خيراً كثيراً كما جنت العلوم بل والأديان من نهج ديكارت هذا الذى يضللون به السذج ممن لم يعرفوا حقيقته

« جاء فى الجزء الثالث من دائرة معارف Chambero : « من قواعد فلسفة ديكارت أن ما وجد فى الذهن واضحاً جلياً فهو حق يجب أن يسلم به تسليما » أين هذا من قولهم بالشك فى التاريخ والدين وفى كل قديم لأنه قديم وهذا حسبه ؟ « لم تكن عظمة ديكارت راجعة إلى أنه شك ؛ ولكن إلى أنه اهتدى بالبحث إلى طريق وصله إلى اليقين » « على أنه حين أخذ الشك يساوره كان غلاماً ناشئاً لم تجاوز سنه العشرين (ولما يتم دراسته الجامعية) فشكه حينئذ لم يكن ليحتج به »

ولكنه على كل حال بحث وجد فى بحثه حتى توصل إلى أن قال كلمته المشهورة « أنا أشك فأنا إذن موجود » ثم قال بعد ذلك « إنى مع شعورى بنقص ذاتى أحس فى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة ، وأرانى مضطراً إلى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذاتى تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهى الله »

وقد اعتذر ديكارت الكهل نفسه عما بدر منه أيام الشباب برسالة صغيرة أخرجها للناس فى سن الأربعين بين فيها كيف تخلص من أزمة الشك إلى اليقين بهذه الطريقة العلمية الرائعة التى يعرفها التاريخ باسمه عنوانها (مقال فى الطريقة).

ومن أهم مبادئها كما شرحت فى دائرة المعارف البريطانية

إننا لا نقبل شيئاً ولا نسلم به مالم نختبره العقل اختباراً دقيقاً ونتحقق من وجوده بما ليس فيه أدنى ريب ؛ فكل ما كان مصدره الحدس والتخمين يجب رفضه ونبذه قطعاً .

يجب أن يكون بحثنا على الترتيب الآتى من البسيط إلى المركب ومن الصعب إلى الأصعب .

ومن أهم شروط صحة البحث ألا نحكم بصحة رأى أو مقدمة أو خطأ حتى نتحقق من ذلك بالامتحان .

ولو أننا طبقنا هذه الحقيقة على ما يرجف به السادة المشككون باسمه ، لقضت على آرائهم فى مهدها ، ولاستراح الشباب والشيوخ من سفسفاتهم وترهاتهم ...

(للكلام صلة) إبراهيم البطراوى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

شاعرة حائرة تسأل عن الفن والحياة :

أحييك وأهنئك ، فقد سموت بفن النقد الذي لم نكن نعرف عنه سوى أنه إما مدح أو تملق يحط من كرامة الكاتب ، وإما ذم وتحقير متعرض لا هوادة فيه ولا رحمة ... لقد أعجبني وأفادني مقالك عن الأستاذ توفيق الحكيم تحت عنوان « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » ، ولكنه لسوء الحظ ساءني وأفزعني !

لقد قرأته مراراً ثم قلت لنفسي : إذا كان إنتاج الأستاذ الحكيم قد تأثر بسبب انطوائه على نفسه وابتعاده عن الحياة ، وإغلاقه « تلك النافذة المفتوحة التي كان يطل منها على ميدان الحياة الفسيح المترامي أمام عينيه » ، إذا كان هذا قد حدث مع الأستاذ الحكيم فكيف آمل أنا أن أكون شاعرة ناجحة ؟! أنا ربيبة الانطواء المرير والعزلة الطويلة ، أنا التي لم أر العالم ولم أعرف المجتمع إلا عن طريق الصحف والكتب والخيال !

لقد كان كل أملي في الحياة أن أنتقل إلى آخر مرحلة من مراحل التعليم ، ولكنني حين أتممت تعليمي الثانوي فوجئت بوحش ثائر اعترض طريقي إلى الجامعة وقال بصوته الرهيب : إلى أين أيتها الحالمة ؟ قلت : إلى الجامعة . قال : حذار وإلا أشقيت أسرتك ، ألا تعلمين أن سلطاني عليهم عظيم ؟ وأنني سأقلق مضاجعكم جميعاً إذا لم تتبعوني ؟ وسألته واجفة خاشعة : ومن أنت أيها السلطان الجبار ؟ قال : أنا سلطان التقاليد : تفقدت الوجوه الواجمة من حولي وعز علي وجومها ، وقلت لن ألتحق بالجامعة ولأكن كبش الفداء ... وها أنا بأول ضحية من ضحايا التقاليد ولم تثن تلك المحنة القاسية من عزيمتي وداومت على القراءة ليلا ونهاراً ...

وأخيراً أخذت الغيوم الكثيفة تنقشع عن سمائي ، وأذن لي بنشر شعري بالجرائد اليومية . ولكنني ما كدت أشعر بالسعادة وبأن حلم حياتي قد تحقق حتى هب الكثيرون والكثيرات يهيبون بي أن أترك انطوائي وعزلتي ، وأن أخرج إلى المجتمع وأن أتردد على زيد وعبيد من كبار الكتاب والشعراء . وقيل لي إن لم تفعلي ذلك فسينحط إنتاجك وينضب معينك ! . ومما زاد في شقوتي وارتباكي وكاد يطيح بي إلى هوة سحيقة من اليأس القاتل ما أقرأه لك حول هذا المعنى في هذه الأيام . فهل من المحال أن يكون الأديب أو الشاعر قديراً ناجحاً ما دام منطوياً على نفسه بعيداً عن دنيا الناس ؟ وهل الكتب لا تكفي ولا يمكن أن تكفي ليكون الإنسان مثقفاً كما يقول الدكتور مندور ؟

إذا كانت هذه هي الحقيقة فيا لمرارتها ويا لقسوة القادر ويا لظلم التقاليد ! . إذا كانت هذه هي الحقيقة فسلام علي وفي ذمة الله آمالي وأحلامي ومستقبلي الأدبي الذي حلمت به السنين الطوال !

إن رجائي الحار هو أن تجيب عن هذين السؤالين على صفحات مجلتي الحبيبة « الرسالة » ، ولست أدري لماذا أشعر شعوراً قوياً أنك لن تخيب رجائي ولن تهمل الرد علي .

شاعرة حائرة

إنسانة فنانة ، وشاعرة حائرة ... وكلمات أحس فيها لوعة القلب وألمس حيرة القلم ، وأكاد أشم رائحة الدموع ! وأعود بذاكرتي إلى الوراء أستعرض ما قرأت من شعر على صفحات الجرائد اليومية ، عسى أن أضع يدي على مفتاح هذه الشخصية المجهولة التي تعرض علي قضيتها في انتظار الجواب ... وقد يسأل سائل عن سر هذا الاهتمام فأقول له : إنه شغف الملكة الناقدة بتتبع سير الحياة الأدبية ، والكشف عن ظواهر هذه الحياة ، والربط بين شخصية الكاتب وما كتب !

وأقف بالذاكرة طويلا عند صحيفة من صحف المساء ، لأسترجع عن طريق التمثل الفكري بعض ما كنت أقرأ فيها من شعر لآنسة مجهولة .. آنسة كانت ترمز إلى شخصيتها بالحروف الأولى من اسمها ولا تزيد ! لماذا لا تفصح عن اسمها صاحبة هذا الشعر؟ لماذا أحس في روحها هذه التهويمات التي يئن فيها النبض وتختنق العاطفة ؟ لماذا تهب علي من شعرها رائحة الفن السجين ؟ لماذا تحلق بخيالها في أفق يغلب فيه الضباب على الإشراق ؟ أسئلة لم أكن أجد لها غير جواب واحد أطمئن إليه ، هو أن صاحبة هذا الشعر إنسانة منطوية على نفسها قد فرضت عليها التقاليد أن تبتعد عن الحياة ! .

وكم قلت لنفسي: هنا أقباس من وهج الشاعرية ولكن لماذا تطل من تحت الرماد؟ وهنا جناح يملك القدرة على التحليق ولكن لماذا تحد الرياح من رفاته؟ وهنا روح تود أن تنطلق، ولكن لماذا ألح في انطلاقها أثر القيود والأصفاد؟! هذه الخواطر التي كانت تجيش في النفس منذ حين قد ردتني إليها اليوم رسالة الشاعرة الحائرة، وجعلتني أتساءل بيني وبين نفسي: ترى أتكون ...ية هذه الرسالة التي تلقيتها منذ أيام هي صاحبة الشعر الذي طالعته في إحدى صحف المساء منذ أسابيع؟ إن الروح هي الروح ممثلة في التحدث إلى الحياة والناس من وراء حجاب، وإن اللوعة هي اللوعة مصورة في شكوى التقاليد وظلم التقاليد... وبعد، هل يقدر لهذه الإنسانة الفنانة أن تحطم قيودها يوماً ما، وأن تستشعر حرارة الحياة كما يستشعرها كثير من الأحياء؟!

إنها تسألني هل من المحال أن يكون الأديب أو الشاعر قديراً ناجحاً ما دام منطوياً على نفسه بعيداً عن دنيا الناس؟

إن الجواب يا آنستي هو أن الفن بعيداً عن الحياة جسد تنقصه الحركة، وفكرة يعوزها الروح، ولوحة تخلو من الأضواء والظلال.. والفن كما قلت غير مرة ما هو إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور، ولن يتحقق الصدق في الفن ما لم يستخدم الفنان كل حواسه في تذوق الحياة: يرقب، ويتأمل، ويهتك الحجب، وينفذ إلى ما وراء المجهول. فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفني فهو الفنان... وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما في القلب الإنساني من نبض وخفوق فهو الفنان الإنسان. وعلى مدار القوة والضعف في خفقة القلب ودفقة الحياة يفترق العمل الفني عن مثيله في كل فن من الفنون!

الحياة يا آنستي هي النبع الأصيل لكل أثر من آثار الفن يترك ظله في النفس وبقاءه على الزمن. في أدب الكاتب، في شعر الشاعر، في لحن الموسيقار، في لوحة الرسام! لتكن الحياة نقمة أو نعمة، لتكن مأساة أو ملهاة، لتكن ألماً أو لذة، لتكن دمعة أو ابتسامة. حسب الفن أن يعبر عن الحياة فيصدق في التعبير، وحسبه أن يترجم من رؤية العين وإحساس القلب فيسمو بالأداء! «أدولف» لكونستان، «آلام فرتر» لجيته «مانون ليسكو» لبريفوست، «رفائيل» للامرتين، «البعث» لتولستوي، «نانا» لإميل زولا، «أرض الميعاد» لأندريه موروا «الباب الضيق» لأندريه جيد... كل تلك الآثار القصصية وما يماثلها في أدب الغرب قد تنفست فيها الحياة فعبقت بعطر الخلود.

آلام بتهوفن التي صبها في أنغامه خالدة لأنها من الحياة، لذات بايرون التي تدفقت في أغنياته خالدة لأنها من الحياة، دموع هايني التي ترقرقت في أناته خالدة لأنها من الحياة... وقولي مثل ذلك عن بسمات جورج صاند وتشاؤم ليوباردي وصرخات بودلير

وإذا ما تركت الأدب والشعر والموسيقى إلى التصوير، فهناك لوحات كتب لها البقاء ما بقيت الحياة التي ألهمت الريشة المبدعة وأوحت إلى الخيال الوثاب... ترى هل سعدت بالوقوف لحظات أمام «الجيوكندا» لدافنشي، و«الربيع» لبوتشيلي و«الخريف» لمالي نويل و«الحرية تقود الشعب» لدلاكروا، و«وحي الشاعر» لبوسان و«حارس الليل» لرمبرانت و«نجوى الراعي» لبوشيه و«الينبوع» لأنجر؟

الحياة يا آنستي هي الدعامة الأولى التي يقوم عليها كل بناء فني جدير بالخلود... هي النهر الجبار المتدفق وكل ما عداه روافد هي البذرة النادرة التي تنشق عنها تربة الفن فإذا الغصن المزهر والثمرة الناضجة!

وتسألينني هل الكتب لا تكفي ولا يمكن أن تكفي ليكون الإنسان مثقفاً؟... إن جوابي عن هذا السؤال هو أنها لا يمكن أن تكفي لسبب واحد هو أن ثقافة من هذا الطراز يشوبها النقص ويعتريها القصور؛ لأنها تفقد عنصراً خطيراً هو عنصر التطبيق على الحياة! كيف تستطيعين أن تتذوقي آثار الفن وأنت بعيدة عن منابعه؟ وكيف تستطيعين أن تحكمي على نتاج القرائح وليس بين يديك قاعدة ولا ميزان؟ إن الثقافة يا آنستي ليست قراءة فحسب، ولكنها فهم وتذوق وهضم وتطبيق واستيعاب... وحياة من وراء هذا كله تعين الذهن على الإحاطة، وتسعف الحواس على التوهج، وترفع من قيم المواهب والملكات!

معذرة يا آنستي فهذه هي الحقيقة... ومع ذلك فلا موجب لهذا اليأس الذي ألمحه من الشعور في كلماتك، إني أشعر شعوراً عميقاً بأن القيد سيتحطم يوماً ما، وعندئذ يمكنك أن تستشعري حرارة الحياة كما يستشعرها كثير من الأحياء!

رأي في مقدمة «أوديب الملك» حول الفلسفة الإسلامية :

كتب الأستاذ سيد قطب — رد الله غربته في الوطن والروح — كتب في عدد «الرسالة» الماضي موجهاً حديثه إلى الأستاذ توفيق الحكيم : «فكرة أريد أن أصححها عن «الفلسفة الإسلامية» كما يصورها ابن رشد وابن سينا والفارابي فقد ألممت بهذا في بحثك الممتع الطويل . إن هذه الفلسفة قد تصح تسميتها «الفلسفة الإسلامية» بمعنى أنها وجدت في أرض إسلامية على يد أفراد مسلمين . ولكن يكون من الخطأ العميق اعتبارها «فلسفة الإسلام» ، وقد آن أن نصحح هذه الغلطة القديمة الحديثة ! إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة إن هي إلا انعكاسات الفلسفة الإغريقية في ظل إسلامي . وهي لا تبلغ أن تصور الفكرة الكلية للإسلام عن الكون والحياة والإنسان . هذه الفكرة الخالصة الكاملة المتناسقة» !

معذرة يا صديقي إذا قلت لك إن هذه الفكرة عن «الفلسفة الإسلامية» قد صححت في أحد أعداد (الرسالة) منذ ثلاثة أشهر عند ما تناولت بالنقد مقدمة «أوديب الملك» في «التعقيبات» ولقد قدر لهذه الغلطة القديمة الحديثة أن ترد إلى الصواب في هذه الكلمات التي لم تطلع عليها لبعدك عن أرض الوطن حيث قلت : «ثم يقول الأستاذ الحكيم في موضع رابع إن فلاسفة العرب قد صبغوا آثار أفلاطون وأرسطو بلون تفكيرنا وطبعوها بطابع عقائدنا ... في رأيي أن شيئاً من هذا لم يحدث ، إن كل ما فعله فلاسفة العرب هو أنهم نظروا في الفلسفة اليونانية فنقلوا بعض ما فيها من آراء ومذاهب نقلا يحفل بالخلط والتشويه ؛ ذلك لأنهم حاولوا أن يوفقوا بين تعاليم الفلسفة اليونانية وبين تعاليم الدين الإسلامي فكانت محاولة انتهت بأصحابها إلى الإخفاق . أما الإخفاق فمرجعه إلى بعد الشقة بين العقلية اليونانية والعقلية العربية من جهة ، وبين منهج الفلسفة اليونانية ومنهج الديانة الإسلامية من جهة أخرى ... ومن هنا كانت الفلسفة الإسلامية خليطاً عجيباً من أفكار مضطربة لا تقترب كثيراً من الدين ولا من الفلسفة»

بقي أن أبعث إليك بعاطر الشوق على صفحات «الرسالة» وبخالص الشكر على تفضلك بإهدائي كتابك الجديد القيم عن «العدالة الاجتماعية في الإسلام» .

ثلاثة كتب لأحمد الصاوي محمد :

صديقي الأستاذ أحمد الصاوي محمد رجل وهبه الله قدرة على الإنتاج لا تحد ، واستجابة لدعاء القلم لا تنتهي ، وجلداً على إرهاق العمل لا يعتريه وهن ولا فتور ؛ فهو لا يكاد يفرغ من كتاب يقدمه إلى القراء حتى يدفع إلى المطبعة بكتاب آخر ... أستغفر الذاكرة بل بكتب أخرى تنقل إلى الشرق كثيراً من روائع الغرب!

من هذه الكتب التي ظهرت له منذ قريب «كفاح الشباب» و «مآسي الشباب» و «زواج الشباب» ، ومن قبلها بضعة وعشرون كتاباً في شتى ألوان الأدب والفن ... وبهذا الإنتاج الضخم يشارك الصاوي في بناء نهضتنا الثقافية بدعائم من الجهد الأدبي الجدير بالإعجاب .

وكتب اليوم الثلاثة التي تعرض لكفاح الشباب ومآسيه صور من الحياة وللحياة ... يصبها الصاوي في قالب قصصي ممتع يحتفظ بروح الواقع المحس ، داخل إطار من طلاوة العرض والتحليل والأداء . هي فصول نشرها في «أخبار اليوم» يوم أن كان يدرس مشكلات الشباب من رسائلهم إليه ، ليقدم العلاج في رأي يدلي به أو نصح أو مشورة ؛ ومن هنا جاءت هذه المجموعة التي تنتظم كتباً ثلاثة هي «كفاح الشباب» و «مآسي الشباب» و «زواج الشباب» ، جاءت كما يقول الأستاذ الصديق في مقدمته : «أسطع نبراس للشباب المتطلع لحياة أفضل وأنفع وأكرم ، وأعز مرجع للمصلحين الحريصين على توجيه شباب الجيل وتقويمه ونفعه ليكون جديراً بوطنه» .

مشكلة في حياتنا الأدبية :

يقول الأديب الأسكندري الفاضل عمر عبد السلام مجاهد في رسالة بعث بها إلي : «يا أخي في يدك قلم وفي كتاباتك عمق وحياة ، فلماذا لا تخرج كتاباً في الأدب أو الفن أو النقد تمدنا فيه بمثل هذه الأفكار التي تطالعنا بها في مقالاتك وتعقيباتك ؟ إن هذه الرغبة ليست رغبتي وحدي ولكنها كما أعتقد رغبة الكثيرين من المعجبين بك» .

أود أن أجيب الأديب الفاضل بعد شكره على حسن ظنه وجميل رأيه بأنني قد فكرت في هذا الأمر أكثر من مرة ، ولكنني اقتنعت أخيراً بأن الإحجام خير من الإقدام ، لماذا ؟ هذه هي المشكلة التي سأتناولها في الأسبوع المقبل بالعرض والتحليل ؛ وهي مشكلة لا تتعلق بي ولكنها تتعلق بهذا الجيل من القراء !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

عيسى بن هشام يبتذل في الإذاعة :

أشرت في الأسبوع الماضي إلى القضية التي ستنظر أمام محكمة مصر الكلية يوم ١٣ يونيه القادم بشأن التمثيليات التي تذيعها محطة الإذاعة بعنوان «عيسى بن هشام» وقد رفع الدعوى إلى المحكمة خليل المويلحي بك شقيق محمد المويلحي بك مؤلف كتاب «عيسى بن هشام أو فترة من الزمن» مطالباً وزير الشؤون الاجتماعية ومدير الإذاعة ومؤلف التمثيليات ومخرجها ، بأن يدفعوا إليه ألف جنيه متضامنين .

وقد بدأت قصة هذه المسألة في سنة ١٩٤١ حينما عرض الأستاذ أحمد شكري على خليل المويلحي بك أن يصرح له باقتباس تمثيليات إذاعية من الكتاب ، فوقع له بالتصريح ، ولكنه لما سمع التمثيلية الأولى رأى أنها مسخت مقاصد مؤلف الكتاب ، إلى أنها أعدت باللغة العامية المبتذلة ، فألغى ذلك التصريح ، وأفضى بالأمر إلى الدكتور طه حسين بك — وكان إذ ذاك المستشار الفني للإذاعة — فمنع الدكتور الاستمرار في هذا العمل . وفي سنة ١٩٤٨ استأنفت الإذاعة تلك التمثيليات ، وراح المذيع يقول في عبارته التقليدية : «محمد الغزاوي يقدم عيسى بن هشام تأليف أحمد شكري وإخراج محمد الغزاوي ... الخ» فأرسل شقيق المؤلف الحقيقي إلى الإذاعة يطلب عدم إذاعة التمثيلية والكف عن التمادي في هذا التصرف . ولكن الإذاعة استمرت تذيع حلقات متتابعات تدور حوادثها على ما تضمنته قصة الكتاب مع تشويه الأهداف الأدبية فيه وابتذال اللغة ، ففي إحداها إزراء بالمنيكلي باشا بطل قصة الكتاب ، من أحد (الخواجات) مما لا يتفق مع تصوير المؤلف الأصيل لهذه الشخصية ، وفي إحداها تقول امرأة في المحكمة الشرعية للباشا : (يا منيل على عينك ... يا مدهول ..)

وهكذا إلى هذه الحال يصير ذلك الأثر الأدبي القيم الذي يعد المحاولة الأولى للقصة المصرية الحديثة الأصيلة ، بل هو في رأي التاريخ الأدبي المعبر من المقامة إلى القصة في عصرين من عصور الأدب العربي .

ولنفرض أن الإذاعة ليس فيها أدباء يعرفون مكان «عيسى ابن هشام أو فترة من الزمن» وعلى هذا أذاعت مراراً أن مؤلف «عيسى بن هشام» هو أحمد شكري ، ولكن ما بالها تستمر في ذلك وقد علمت وعلم مديرها — من الخطاب المرسل إليه ومن الاتصالات التي حدثت من أجل الموضوع والتي احتج فيها المدير بالتصريح السابق — أن مؤلف «عيسى بن هشام» هو كاتب مصري كبير اسمه محمد بك المويلحي — ما بال الإذاعة وقد علمت ذلك لا تزال تعلن أن المؤلف هو أحمد شكري بعد أن تعلن أن الغزاوي يقدم .. ؟ وكيف تستبيح الإذاعة ومن يعملون فيها الحقوق الأدبية العامة — بصرف النظر عن حقوق الورثة المادية — فتحيل الأدب الرفيع إلى كلام مرذول ، والفن العالي إلى بضاعة مما توجيه إلى الناس ... ؟

تمثيل كريمات الرسول :

طلبت جمعية الشبان المسلمين من محطة الإذاعة ، إذاعة مسرحية تمثلها على مسرحها ، فاطلعت المحطة على المسرحية فرأت فيها مشهداً تظهر فيه شخصيات تمثل بعض الصحابة وآل الرسول وخاصة فاطمة الزهراء ، فأرسلت إلى فضيلة مفتي الديار المصرية تستطلع رأيه فيها قبل إذاعتها ، فرأى فضيلته أنه لا يليق إطلاقاً أن تمثل شخصية فاطمة الزهراء أو يسمع الناس ممثلة تتحدث باسمها .

وقبل ذلك أذاعت المحطة تمثيلية قصيرة اسمها «زينب وأبو العاص» ونشرت مجلة آخر ساعة صور هذه التمثيلية وهي تمثل في دار الإذاعة ، ومن بينها صورة زوزو حمدي الحكيم تمثل شخصية زينب بنت رسول الله ... فلماذا لم تستفت الإذاعة فضيلة المفتي قبل إذاعة تمثيليتها وقبل الإذن بنشر صورها في المجلة ؟ وهل يا ترى تمنع إذاعة «تسجيلها» ؟

مظاهر النشاط المدرسي مظاهر فقط :

نحن الآن في أواخر العام الدراسي وقد حفل الشهر الأخير

كما يحفل كل عام، بمظاهر النشاط المدرسي أو بالحفلات النهائية لهذا النشاط، من تمثيل وألعاب ومعارض فنية وغير ذلك ... ويبذل المشرفون على المدارس جهداً كبيراً في ذلك، ولكن هل تتجه هذه الجهود نحو الفائدة التربوية المتوخاة من هذا النشاط أو هي تنسرب نحو أغراض أخرى؟

لا أنسى منظر ذلك الناظر الذي رأيته في مكتب أحد رجال الوزارة الكبار، وهو يتحرق شوقاً إلى تشريف الكبير حفلة التمثيل التي ستقيمها المدرسة، إنه يلح على السكرتير في طلب الإذن له، وكل ملامحه تنطق بالأهمية القصوى التي يعقدها على حضور الشخصية الكبيرة حفلة المدرسة. إن الرجل يبغي الظهور بالمقدرة والنشاط أمام الرؤساء، وتصور ما وراء ذلك وما سبقه من إعداد.

هؤلاء نفر من الطلاب اختارهم المشرفون لتمثيل الرواية التي تعتزم المدرسة تقديمها على أحد المسارح في آخر العام، وعكف المدربون — وقد يختار بعضهم من خارج المدرسة — على تدريبهم، وكثيراً ما يحتاج الأمر إلى ترك الحصص والدروس للقيام بهذا التدريب في الوقت الذي يستعد فيه جميع الطلاب للامتحان آخر العام. والنتيجة هي أن تنجح الحفلة ويتباهى الناظر. أما الطلبة فسبعة أو ثمانية منهم دربوا على التمثيل تدريباً شاغلا عن بعض الدروس، وباقي الطلاب كل غنمهم مشاهدة التمثيل ...

وهذا معرض يشتمل على أعمال فنية تنسب إلى التلاميذ، ويعلم الله أن أيدي المدرسين، أو بعض الفنيين من الخارج، هي الغالبة عليها ... وقد دعيت في هذا الأسبوع إلى حفلة شاي أعدت لمناسبة افتتاح معرض مدرسي، ولا أقدر نفقات الحفلة بأقل من خمسين جنيهاً، ثم نهضنا إلى المعروضات فإذا هي لا تساوى كل هذا الزئاط، ولحت الطلبة بجوارها لا يفقهون أسرارها، والبركة في شرح المدرسين ..

لو أن وراء تلك المظاهر ما يدل على أصالة الطلاب فيها وعلى استفادتهم من الدربة عليها استفادة شاملة أو غالبة، لكان الأمر على ما نحب لهم. ولكن يبدو أن مظاهر النشاط المدرسي خطوط متوازية مع الخط الرئيسي وهو السباق نحو الفوز في الامتحان. وكل ذلك دون العناية بما هو في الأصل غاية.

كرسي الاعتراف:

يمثل الكردينال «جيوفاني»

كشكول الأسبوع

◻ اختير السيد منير القاضي رئيساً للمجمع العلمي العراقي خلفا لمعالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي، وكان الأستاذ القاضي قبل ذلك عميداً لكلية الحقوق في بغداد.

◻ كان الدكتور زكي نجيب محمود كتب مقالا بالأهرام نقد فيه تمثال مصطفى كامل وأثنى على تماثيل إبراهيم باشا ولا ظوغلي وسليمان باشا، قائلا بأن سبب ذلك هو أن صانعي التماثيل القديمة أجانب، أما صانع تمثال مصطفى كامل فهو مصري... وقد رد عليه الأستاذ مختار الوكيل بكلمة في الأهرام أيضاً تضمنت أن صانع التمثال الأخير مثال فرنسي هو مسيو سافين.

◻ جاء من كراتشي أن محطة الإذاعة الباكستانية ستعمل على إذاعة أحاديث لمشاهير الكتاب والمفكرين في مصر بعد تسجيلها في القاهرة.

◻ كتبت الحكومة الهندية إلى الحكومة المصرية في شأن التبادل الثقافي بينهما، وذلك بأن ترسل الهند إلى مصر بعثة جامعية لمدة ثلاث سنوات، وكذلك تفعل مصر، على أن تقوم البعثة الهندية بدراسة أحوال مصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتقوم البعثة المصرية بدراسة التاريخ الإسلامي وفنونه في عصور الإسلام المختلفة بالهند.

◻ تضمن تقرير اللجنة المالية بمجلس النواب عن طلب اعتماد في الميزانية لإنشاء فرقة نموذجية من خريجي معهد التمثيل، أن الممثلين القدماء يحسون بنقص إزاء المستوى العلمي والفني لخريجي المعهد، وأن التعاون غير ميسور بين الفريقين في الفرقة المصرية، وأن الأولين ينفردون بالأدوار الهامة ... إلخ. وقد ثار لذلك الممثلون القدماء، وطلب فريق منهم دعوة مجلس إدارة النقابة للرد على ما جاء في ذلك التقرير.

ومهما يكن من شيء فالمشاهد حقيقة أن الممثلين الكبار ينفردون بالأدوار الهامة حتى فيما يتطلب صغر السن.

◻ تعقد رابطة الأدباء اجتماعات عامة في أيام الآحاد، تلقى فيها أشعار مبرحة ... ومحاضرات يعقب عليها الدكتور إبراهيم ناجي بأطول منها! وفي يوم الأحد الماضي خرج أحد الأدباء من دار الرابطة متعباً متصدعاً، فلما سئل عما به قال: (أنا خدت قصيدة!) فما رأي الدكتور ناجي في هذه الإصابة المرضية ..؟

◻ انعقد في لندن أخير مؤتمر مسرحي برياسة السير ستافورد كريبس وزير المالية، ومن أهم القرارات التي انتهى إليها، إنشاء كرسي للمسرح والدراما في كل الجامعات الإنجليزية.

◻ انتهت اللجنة العامة في وزارة المعارف من إعداد مناهج اللغة العربية في مرحلة الدراسة المتوسطة، وقد استبدل فيها النقد بالبلاغة وروعي في الأدب الإكثار من النصوص الأدبية والإقلال من مادة التاريخ.

◻ ظهرت في باريس مناديل منقوش عليها شعر في الغزل لشاعر فرنسي، فطالبت جمعية حقوق المؤلفين صانع المناديل بتعويض كبير. فما أشد تسامح شاعرنا المجهول المنقوش بيتاه التاليان على السرادقات:

ملك الملوك إذا وهب ... لا تسألن عن السبب
الله يعطي من يشا ... فقف على حد الأدب

أحد رجال الكنيسة بروما، في قصر أسرته العريقة «آل ميدتشي» مع والدته التي تأمل أن يصل ولدها الكردينال إلى كرسي البابوية، ومع أخيه الشاب «جوليانو»، بجوار أسرة «تشيجي» أحد أشراف روما. ويحب «جوليانو» ابنة «تشيجي» واسمها «فليبرتا» وهي تحبه. ويحاول «أندريا ستروتسي» الذي يقربه البابا لأنه يجاهد في خدمة الكنيسة بسيفه — يحاول أن يظفر بالفتاة «فليبرتا» فيخطبها من أبيها، فيرفض الأب، ويدور بينهما نقاش حاد ينتهي بأن يقتل «جوليانو» «تشيجي» بخنجره، ويأمر تابعين له بنقله إلى باب داره، ويذهب إلى الكردينال، ليعترف بخطيئته أمام كرسي الاعتراف، ثم يذهب إلى حرب أمره البابا بالسير إليها. وعندما يكون «جوليانو» وخطيبته التي فقدت أباها عند أخيه الكردينال، يقبل محافظ روما ليقبض على «جوليانو» متهماً بقتل «تشيجي» لأنه وجد خنجره بجوار الجثة وكان قد وقع منه عند ما خف لنجدته، ولأن اسم «جوليانو» كان آخر ما لفظه القتيل. ويصعق الكردينال لهذه المفاجأة ويؤكد للمحافظ أن أخاه بريء، ولكن المحافظ لا يعبأ به ويسوق المتهم إلى السجن، ثم يحاكم ويُقضى بإعدامه؛ وتمر المحنة بالكردينال شديدة عاصفة لأنه يعرف القاتل ولا يستطيع أن يفشي سر «الاعتراف» وأخوه يساق إلى الإعدام ... وفي خلال ذلك يقبل أندريا القاتل الحقيقي من ميدان القتال ظافراً، فتستقبله روما بالحفاوة، ويطلب إليه الكردينال أن يكشف عن الحقيقة في قتل «تشيجي» ولا بأس عليه لأن البابا لا بد أن يعفو عنه جزاء بلائه في الحرب، فيطلب ثمناً لذلك أن يتزوج «فليبرتا» فيعنف الكردينال في مخاطبته ويطرده ويلعنه. ثم يتصنع الجنون ويهيء الجو بحيث يستدرج «أندريا» إلى الإقرار بجريمته على مسمع من محافظ روما الذي كان لدى الكردينال عند ما أقبل «أندريا» وهم بالانصراف ولكنه لما سمع الجدال يعلو بين الرجلين اختبأ قريباً منهما خشية أن يعتدي «أندريا» على الكردينال. ثم يهجم المحافظ على «أندريا» ويمسك به ويطلق سراح «جوليانو»

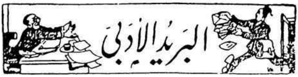
هذه هي قصة فلم «كرسي الاعتراف» الذي يعرض بسينما أوبرا، والذي أخرجه يوسف وهبي ومثل دور الكردينال فيه، وهي قصة مسرحية قديمة مترجمة عن الإنجليزية، ومثلها يوسف وهبي على المسرح مراراً قديماً وحديثاً ... وأخيراً قدمها على الشاشة كما هي بحوارها وشخصياتها، لم يغير فيها إلا قليلاً مما اقتضته الحركة السينمائية، فبدت في ثوب سينمائي يكاد يتمزق ليكشف عن مناظر مسرحية بحتة، وقد عدمت من السينما أهم لوازمها وهي المناظر المنوعة، فقد جرت كل الحوادث في قصر «آل ميدتشي» ولم نر شيئاً يذكر من روما مدينة السحر ومهد الفن ومبعث الشعر، كما تقول الأغنية التي بدأ بها الفلم.

ويخيل إلي أن هذا الفلم يتمثل فيه «التقتير» من ناحيتين، فالتقتير من جانب المنتج في عدم الإنفاق على المناظر والاكتفاء بهذا الاسم المدوي في عالم الفن: يوسف وهبي، وهو أي يوسف وهبي يبدو رائعاً في مظهر الكردينال كما ترى في صورته بالإعلان في الصحف وقد رفع يديه فبدت فتحتا القميص الرشيقتان ... وقد عني مصور الفلم بالتقاط مناظره في المواقف المختلفة عناية ظاهرة.

والتقتير من جانب يوسف وهبي بتقديم بضاعة قديمة، لا تكلفه مجهوداً ولا عناء، فقد حفظ دوره في الرواية وأجاد تمثيله، وأقوم ما في الفلم إتقان يوسف وهبي في تمثيل دوره الذي مرن عليه في المسرح، ولا آخذ عليه إلا ما ينتابه من الصياح في بعض المواقف دون داع إليه، كما صنع وهو يتمشى مع أمه منفردين في جو هادئ، إذ هب يخطب فجأة قائلا إنه لا بد أن يحافظ على مجد «آل مديتشي» ولا جمهور يخطبه غير أمه والمائدة.

ويبدو لي أن هذه الرواية لم تصل إلى السينما حتى كان «زيتها» قد اعتصر ... فلم تكن تحتمل كل هذا الذي جرى لها في مصر ... ألم يكن يكفي تمثيلها على المسرح والاعتبار بشكوى «الخشبة» من تكرارها عليها حتى تبلى بها «الشاشة» في آخر المطاف؟ أو لم تكن أولى بهذه الجهود السينمائية رواية مصرية جديدة؟ وما ذا يهم الجمهور المصري من «آل مديتشي» وحب السيد «جوليانو» واعتراف «أندريا ستروتسي»؟ لقد كان الممثلون أنفسهم — فيما بدا لي — ضائقين بهذا الجو يؤدون أدوارهم فيه (والسلام!) وإلا فبماذا أفسر جمود فاتن حمامة (فليبرتا) وفاخر فاخر (جوليانو) وظهورهما في مواقف الفلم كأنهما يتفرجان بمناظر قصر «آل مديتشي» وما حوى من العجائب والغرائب ... وهما من أقدر الممثلين؟!

عباس خضر



الأزهر والفلسفة الإسلامية :

في مقال للأستاذ سيد قطب في عدد الرسالة رقم ٨٢٨ كتب الأستاذ هذه العبارة التالية موجهاً الكلام إلى الأستاذ توفيق الحكيم :

« ... ومالى ألومكم أنتم والأزهر ذاته لا يدرس في كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام » .

وأود أن أطمئن الأستاذ الكاتب الفاضل على أن الأزهر في تاريخه لم يدرس الفلسفة الإسلامية على اعتبار أن تمثل فلسفة الإسلام ، أو تحكى مبدأ من مبادئه ، أو هدفاً من أهدافه .

ففي ماضيه كان يحرم دراسة النوع الإلهي من الفلسفة الإسلامية ، لأنه كان يرى في هذا النوع انحرافاً واضحاً عن الإسلام . ومن أجل ذلك كان يلوم فلاسفة الشرق ، أمثال الكندي والفارابي وابن سينا ، على اشتغالهم به ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، وجارى الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » ، وكفر هؤلاء الفلاسفة لمسايرتهم الفكر الإغريقي في القول بقدم العالم ، وقصر علم الله على الكليات ، وإنكار بعث الأجسام .

وفي العصر الحديث يدرس الأزهر في كلياته الفلسفة الإسلامية كما يدرس أنواع الفلسفات الأخرى من الإغريقية ، إلى الدينية في القرون الوسطى ، إلى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة ... على أنها اتجاهات للفكر الإنساني في أزمنة متعاقبة وفي بيئات مختلفة ، وقد يكون بعضها ترديداً لبعض ، أو إضافة جديدة لما سبق .

وهو في هذه الدراسة يوازن بين إنتاج الفكر الإنساني في عصوره المختلفة ، وبين الإسلام كدين أوحى به من عند من له الكمال المطلق .

ومع شكري للأستاذ الفاضل سيد قطب على غيرته القومية والإسلامية ، ودفاعه عن « أصالة » الشرق في تفكيره ، ورغبته الشديدة في أن يرى اعتزاز أهل الشرق والإسلام بما لهم من ثقافة وتوجيه في المرتبة الأولى مما يعتز به إنسان مثقف ، أؤكد له أن الأزهر الحاضر تسيطر عليه في البحث والتوجيه روح إسلامية شرقية عرفت ما في الغرب من ثقافة واتجاه بعدما وعت ما في الإسلام من مبادئ ، ودرست ما كان لشعوبه من خصائص في الأدب والحكمة .

ويسعدني أن يكون كتابي « الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي » وسيلة يعرف بها الأستاذ هذه الروح في الأزهر .

دكتور محمد البهي

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين بالأزهر

النكتة :

جاء في شرح القاموس النكتة النقطة ، ونقل شيخنا عن الفنارى في حاشية التلويح هي اللطيفة المؤثرة في القلب من النكت كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة في القلب التي يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الاصبع .

وفي التعريفات النكتة هي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر من نكت رمحه بأرض إذا أثر فيها ، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها اهـ

وفي (الكليات) النكتة هي المسألة الحاصلة بالتفكير المؤثرة في القلب ، التي يقارنها نكت الأرض بنحو الاصبع غالباً ، والبيضاوي أطلق النكتة على نفس الكلام ، حيث قال هي طائفة من الكلام منقحة ، مشتملة على لطيفة مؤثرة في القلوب . وقال بعضهم هي طائفة من الكلام تؤثر في النفس نوعاً من التأثير قبضاً أو بسطاً ، وفي بعض الحواشي هي ما يستخرج من الكلام ، وفي بعضها هي الدقيقة التي تستخرج بدقة النظر ، أو يقارنها غالباً نكت الأرض باصبع أو نحوها ، وفي حاشية الكشاف ونكت الكلام أسراره ولطائفه لحصولها بالتفكر ، ولا يخلو صاحبها غالباً من النكت في الأرض بنحو الاصبع اهـ

وجمعها نكت ونكات ، وفي (أساس البلاغة) ومن المجاز جاء بنكتة ونكت في كلامه ونكت في قوله تنكيتاً ، ورجل منكت ونكات اهـ . وقد ألفت كتب باسم التنكيت والنكت .

هذا ، ومن هذا يظهر لك تطور الكلمة وصحة استعمالها في الفكاهة ونحوها .

علي حسن هلول

بالمجمع اللغوي

٥ - من قوة المرأة :

فى (تاريخ الإسلام للذهبي) المطبوع بالقاهرة : كان صلة بن أشيم فى الغزو ومعه ابن له ، فقال : أى بنى ، تقدم فقاتل حتى أحتسبك ! فحمل يقاتل حتى قتل ، ثم تقدم هو فقتل ! فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية ، فقالت : إن كنتن جئتن لتهنئنني فرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن !

٢ - يعطيهم من ماله ليرخصوا الغلة :

يذكرنا عمل الحكومة اليوم بما فعله نصر بن أحمد العابدى السمرقندى الدهقان ، فقد كان كثير المال والغلات ، فوقع بسمرقند قحط ، فباع غلاته بنصف أثمانها ، وكان يعطى الذين يجلبون الطعام من ماله ليرخصوا الغلة ... الخ ما أورده ابن الأثير فى كتابه (اللباب فى الأنساب ج ٢ ص ١٠٣) المطبوع بالقاهرة .

عبد الله معروف

الكساء :

خطأ الأستاذ عبد السميع على محمود استعمال الكتاب للكلمة « كساء » فى كل ملبوس وقال : الحق الذى تؤيده النصوص أن الكساء ثوب بعينه ، وهو نحو العباءة من الصوف . والصواب أن يقولوا « الكُسا » جمع كسوة الخ .

والصواب الذى تؤيده النصوص — هو ما يستعمله الكتاب ، فالكساء التى ويراد به مطلق ملبوس لا ثوب بعينه ، كما ادعى الناقد الكريم — ولو لم يكن كذلك لما احتاج الشاعر إلى تخصيصه بما ذكره من فأمك نمجة — البيت — كما أنه لا حاجة إلى استعمال « كُسًا » جمع كُسوة « فكساء » جمع كُسوة أيضاً . قال فى القاموس : الكُسوة بالضم وتكسر الثوب وجمعها كُساً وكِساء .

(القاهرة) كيلانى حسن سند



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

اختلفت كلمة العلماء في « الأشربة » منذ فجر الإسلام ، وذهبوا فى موقعها من الحل والحرمة مذاهب شتى ، ولجت بينهم الخصومة ، وابتغى كل فريق أن يظهر على خصمه ، ويدفع عن رأيه ، فماج الشك فى عقول الناس وأفكارهم ، وتداخلتهم الحيرة ، وتنازعتهم الروايات المتشاجنة ، والأحاديث المتباينة . وكانوا منها فى أمر مريج . وقد ألف فى الأشربة كثير من العلماء . وممن ألف فيها أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، وقد ظل هذا الكتاب مطوياً فى الخزائن حتى عثر عليه المستشرق الفرنسى « أرتوركى » فأعجب به ونشر أكثره فى سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م فى مجلة « المقتبس » التى كان يصدرها فى القاهرة الأستاذ محمد كرد على . وقد رأى الأستاذ أن الكتاب خليق بالعناية ، جدير بأن يطبع مستقلا ، فبذل وسعه فى تحقيقه وأدرجه فى مطبوعات المجمع العلمى ، وقدم له بمقدمة طويلة يبدو أنها جاءت وحى ساعتها ، وفيض جلستها ، لم يجمع لها عزماً ، ولم يشحذ فهماً ، ولم يعمل فكراً ؛ وإنما أطلق لقلمه العنان يجول هنا وهناك حسبما توحى به النظرة الطائرة ، والفكرة العابرة ، والهوى الجموح .

ومما جاء فى هذه المقدمة العجيبة قول الأستاذ فى ص ٤ : « اشتد ابن قتيبة على مخالفيه ولا سيما المنزلة منهم ، وفى كتابه « تأويل مختلف الحديث » طعن مبرح فى الجاحظ قال فيه : إنه أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل ، فتجلى حسده تجلياً ظاهراً ، هجن ابن قتيبة الجاحظ وكفره ، ورماه بأعظم كبيرة وهى الكذب ، وسجل عليه أنه أكذب واحد فى الأمة لأنه كتب أشياء تنفع فى تربية العقول فى الدنيا ، كما كتب كل ما ينفع فى الدين ، وابتدع أدباً يسلى ويعلم ، فهل من العدل أن يرمى بوضع الحديث ، وتشدده وتشدد أهل مذهبه فى تحرى السليم من السقيم فى الحديث لا يحتاج إلى دليل ؟ »

إن ابن قتيبة لم يظلم الجاحظ ، ولم يهجنه حسداً من عند نفسه ، ولم يتهمه بالكذب لما زعمه الأستاذ ، بل أنصفه وقال فيه ما له كاملا غير منقوص ، ونقده فى بعض رأيه بما لا يسع المسلم الحقيق إلا نقده ورده على قائله كائناً من كان . وإليك نص كلام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث ، جاء فى ص ٧١ من هذا الكتاب ما يلى : « ثم نصير إلى الجاحظ ، وهو آخر المتكلمين ، والمعاير على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم ، وتصغير العظيم حتى يصغر ، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشئ ونقيضه ، وتجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ ، ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود وأنه كان أبيض فسوده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا ، ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة ، وأشياء من أحاديث أهل الكتاب فى تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدهد أمه فى رأسه ، وتسبيح الضفدع ، وطوق الحمامة ، وأشباه هذا مما سنذكره فيما بعد إن شاء الله ، وهو مع هذا من أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل » .

هذا هو رأى ابن قتيبة فى الجاحظ ، وهو يلقف ما يقوله عنه الأستاذ . ولست أدرى كيف استباح لنفسه الطعن فى ابن قتيبة بذلك الأسلوب التهكمى مع أنه لم يستطع أن ينقد مما قاله حرفاً واحداً ، أتراه كان ينتظر منه تقريظ الجاحظ لاستهزائه بحديث الرسول ؟

وإن تعجب فعجب قول الأستاذ بعد ذلك « وكيف لعمرى قضى ابن قتيبة على خصمه فى مذهبه هذا القضاء وهو القائل فى عيون الأخبار من تأليفه : وليس الطريق إلى الله واحداً ، بل الطرق إليه كثيرة ، وأبواب الخير واسعة ، وصلاح الدين بصلاح الزمان ، وصلاح الزمان بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير » ما هذا الكلام ؟ وما ذا

يريد الأستاذ بإيراده ؟ بل ما معناه ؟ وما علاقته بالموضوع ؟ ولست أدرى ، ولعل الأستاذ وحده يدرى !

وأعجب مما سبق قول الأستاذ بعد ذلك عن ابن قتيبة : « ورمى أيضاً أبا الهذيل العلاف بما ليس فيه ، ووصفه بأنه كذاب أفاك ، وطعن فيه أشنع طعن . وكذلك كان حظ ثمامة بن الأشرس منه ، وهما الأئمة ، ورمى هذا برقة الدين وتنقص الإسلام والاستهزاء به . وطعن فى النظام أيضاً وهو الذى رد على الملحدين والدهريين شطراً كبيراً من عمره »

من أين علم الأستاذ أن ابن قتيبة افترى على أبى الهذيل الكذب ووصفه بما ليس فيه ؟ هل قرأ كتب التوحيد وألفى فيها ما يكذبه ؟ هل قرأ كتب التراجم ووجد فيها [illegible] له فى تكذيبه؟ إنه لم يقرأ شيئاً من هذه ولا تلك ! وآية ذلك أنه وصف ابن قتيبة له بالبخل ورقة الدين مسطور فيها جميعاً . وقد كرر الجاحظ فى كتبه وصفه له بالبخل ، وقال عنه : « إنه كان أبخل الناس » ووصفه كذلك بأوصاف كثيرة وفى طليعتها النفاق . واتفق المترجمون له والباحثون لمذهبه فى كتب التوحيد على أن دينه كان أوهى من بيت العنكبوت . قال الخطيب البغدادى فى ترجمته ٣ / ٣٦٦ « وكان أبو الهذيل خبيث القول ، فارق إجماع المسلمين ورد نص كتاب الله إذ زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها حتى لا ينطقوا ولا يتكلموا بكلمة ، فلزمه القول بانقطاع نعيم الجنة عنهم والله يقول : (أكلها دائم) ، وجحد صفات الله التى وصف بها نفسه ، وزعم أن علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ، [illegible] وقدرة ، تعالى الله عما يصفه به علواً كبيراً » ومذهب أبى الهذيل فى انتهاء حركات أهل الجنة والنار قريب من مذهب جهم بن صفوان الذى زعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شىء معه . بل إن مذهبه شر من مذهب جهم كما يقول البغدادى فى « الفرق بين الفرق » . « لأن جهماً وإن قال بفناء الجنة والنار فقد قال : إن الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم أن ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن أو إحياء ميت أو إحداث شىء » . ويقول البغدادى عنه أيضاً فى ص ٧٢ « وفضائحه تترى ، تكفره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه فى الاعتزال ومن غيرهم » أفبعد ذلك يصر الأستاذ على اتهام ابن قتيبة بأنه وصف أبا الهذيل بما ليس فيه طعناً بغير الحق وتشنيعاً ؟ وكما كان ابن قتيبة صادقاً منصفاً فى حكمه على أبى الهذيل العلاف فإنه كان كذلك صادقاً منصفاً فى حكمه على ثمامة بن الأشرس بأنه كان يتنقص الإسلام ورسول الإسلام ويحقد عليهما حقداً غليظاً ، ولا أريد أن أنقل من حصائد لسانه فى ذلك شيئاً وحسبى أن أنقل للأستاذ الناشر ماذا قاله البغدادى عنه فى ص ١٠٢ ، ١٠٤ « وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق ، وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما »

وأما طعن ابن قتيبة فى النظام فيكفى فى تبريره فوق ما ذكره بالتفصيل فى كتابه قول البغدادى فى ص ٨٠ « وجميع فرق الأمة من فريقى الرأى والحديث ، مع الخوارج والشيعة والنجارية ، وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام » . ولعل الأستاذ « محمد كردى على » يؤمن بعد هذا بأن ابن قتيبة لم يغال « فى طعنه بما لا يناسب عظمة علمه وأخلاقه » وأنه إنما انتهج النهج الذى رسمه لنفسه ، وهو أن يُصحر برأيه فيما ارتأى ، لا يظلم الخصم ولا يؤثر الهوى ...

السيد أحمد صقر

(يتبع)

الكتب

العقد الفريد

للأستاذ محمود أبو ريه

كتاب العقد أو العقد الفريد – لابن عبد ربه أشهر من أن ينبه عليه، أو ينوه به، فهو من كتب الأدب المتعة بل هو موسوعة أدبية غزيرة ضمت بين صفحاتها ما يفيد الأديب ويُعد الكاتب، ويُعين المنشئ ما لا يوجد في غيرها؛ ففيها أدب وتاريخ ولغة وشعر وعروض، وما إلى ذلك مما لم يُجمع مثله في كتاب.

ولو رأينا أن نجمل الكلام في هذا الكتاب لقلنا: إن ابن عبد ربه قد حشد فيه خلاصة ما جمع من قبله، كالجاحظ والمبرد وأبي عبيدة والأصمعي والكلبي وابن قتيبة، وغيرهم مما يطول القول بذكرهم.

وهو لم يقف في مختاراته عند ما وقف غيره ممن سبقه، على ما عُرف عن العرب ولا على ما أثر عنهم من أدب، بل نقل مما ترجم إلى العربية عن الهندية واليونانية والفارسية، وقد قال هو عن كتابه:

« وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من مُتخير جواهر الآداب، ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب، وإنما لي تأليف الأخبار وفضل الاختيار وحسن الاختصار وفرش في صدر كل كتاب؛ وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والأدباء، واختيار الكلام أصعب من تأليفه. وقد قالوا: اختيار الرجل وافد عقله. فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال؛ ثم قرنت كل جنس إلى جنسه، فجعلته بابا على حدته.. وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهراً وأظهرها رونقاً وألطفها معنى وأجزلها لفظاً، وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة، آخذاً بقول الله تبارك وتعالى:

(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)(١) .

مؤلف الكتاب:

أما مؤلف الكتاب فهو: أبو عمر أحمد بن عبد ربه ولد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بقرطبة وتوفى سنة ٣٢٨ هـ

وقد قال فيه ياقوت «.. وكانت له بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة» وقال الفتح بن خاقان «إنه حجة الأدب وإن له شعراً انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الإحسان وسهاه»:

وقال ابن خلكان: «كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس.

وقال فيه ابن حميد:

إمام أهل أدب المائة الرابعة وفرسان شعرائها في المغرب كله»

ولقد كان فوق ثقافته العالية في الأدب والتاريخ والفقه والتفسير والحديث، له شغف بالموسيقى والغناء.

طبعات هذا الكتاب:

طبع هذا الكتاب أكثر من أربع طبعات أميرية وأهلية – وكلها – كما يقول الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك: «في العيوب سواء – إذ ملئت بالتحريف والتصحيف والنقص والزيادة حتى كاد يكون شيئاً آخر»(٢) .

ولقد كان هذا الكتاب من الكتب التي قرأناها في صدر شبابنا، وذقنا من أغلاطه وتحريفاته مثل ما ذاق غيرنا. وكم كنا نتمنى – كما يتمنى سوانا – لو أن هذا الكتاب القيم قد خرج في طبعة صحيحة منقحة كما خرج غيره من أمهات كتب الأدب مثل الكامل للمبرد الذي شرحه شيخ الأدب الشيخ سيد المرصفي رحمه الله، وعيون الأخبار الذي طبعته دار الكتب،

(١) ص ٣ ج ١

(٢) ص ل من تصدير الكتاب.

وكتاب الأغاني الذي لا يزال يطبع ا وغيرها .

وحوالي سنة ١٩٣٨ كنت في زيارة الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك في دار لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكان من حديثي معه أن اللجنة التي يرأسها قد وجهت أكثر غايتها – وكان هذا يومئذ أمرها – إلى التأليف والترجمة ، ولم تعن بالنشر ؛ ولو أنها حوت نصيباً من جهودها إلى النشر لكان ذلك خيراً للناس وهنا . وبخاصة فإن النشر من صميم عملها .

ومما ذكرته لحضرته حينئذ ، وحبذا لو اهتمت اللجنة بطبع كتاب العقد الفريد على نفقتها ، فإنه لا يستطيع أحد أن ينشره صحيحاً غيرها ، فأجابني حفظه الله بأن اللجنة قد أخذت فعلا في نشر هذا الكتاب وأنها تعد العدة لذلك .

عمل اللجنة :

أما عمل اللجنة في طبع هذا الكتاب فإنا ندع القول في بيانه إلى الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك .

قال حضرته – بعد أن ذكر عمل الأستاذ محمد شفيع أستاذ العربية في جامع بنجاب الذي بذل مجهوداً كبيراً في العقد ، وأخرج جزءين كبيرين منه ، وأن اللجنة قد استفادت من عمل هذا الأستاذ فوائد عظيمة – « ثم ها نحن أولاء نحاول أن نخرج الكتاب إخراجاً علمياً – مصححين ما استطعنا – أغلاطه معارضين نسخه المختلفة بعضها على بعض مثبتين أصحها ذاكرين في حواشي الكتاب ما ورد في النسخ الأخرى مكملين ما نقص من عباراته مفسرين ما أبهم من كلماته ، شارحين ما غمض من مشكلاته ، ضابطين ألفاظه ، متحرين أصح الأقوال في نسبة المقطوعات الشعرية والنثرية والأخبار إلى أصحابها مبينين اختلاف الروايات في الشعر والنثر ، منبهين على أحسنها معنونين كل خبر وكل مقطوعة بعنوان خاص يدل عليه ويجمع ما فيه من الإيجاز وكان أول ما فعلنا أن كتبنا إلى الأستاذ ريتر المستشرق الألماني بالآستانة نرجوه أن يتحرى نسخ (العقد) في مكاتب الآستانة ليتبين خيرها وأصحها وأحسنها فكتب لنا وصفاً مطولا بالموجود من نسخ الكتاب ومزاياها وعيوبها ، وقد اخترنا خيرها – بناء على وصفه – ورجوناه أن يصورها لنا بالفوتوغراف ، ففعل مشكوراً ، وقد استعنا إلى جانب هذه النسخة بجميع نسخ العقد الموجودة في دار الكتب المصرية خطة ومطبوعة »(١) .

وبعد أن جمعت اللجنة من هذه النسخ قسماً أخذت في طبع هذا الكتاب ، وكان ذلك في سنة ١٩٤٠ ، وقد ظهر منه إلى الآن خمسة أجزاء في حوالي ٢٧٠٠ صفحة من أكبر قطع وبقي على ما نظن جزء غير الفهارس .

هذا هو كتاب العقد في حالته البديعة التي أخرجته بها لجنة التأليف والترجمة والنشر ونشرته على الناس بتصحيح فائق ، وتنسيق رائق ، وطبع جميل وورق صقيل ليكون [illegible] في حين الذراع بعد أن ظل قروناً لا يجد من يعنى به أو يهتم بأمره على نفاسته وعظم شأنه وحاجة الناس إليه . وقد أصبحت هذه الطبعة التي خرجت اليوم بهذه الدقة وهذا الرواء ، هي التي يطمئن إليها قلب الأديب ويثق بها فكر الباحث ، وما سواها من كل ما طبع – ولا نستثني – إن هو إلا عمل (تجاري) لا يقصد منه إلا الربح المادي .

وإنا إذ نقدم اليوم إلى المتأدبين – في هذه الكلمة الوجيزة – هذا الكتاب الممتع لا نحسب أنا قد وفيناه حقه من التعريف الكافي أو البيان الوافي ، لأن ذلك يدعو ولا ريب إلى إنشاء مقالات مستفيضة . فلندع هذا كله إلى الذين يقرأونه ويستمتعون بما فيه . ولعلنا ننشط يوماً لنري قراء الرسالة نماذج تبين الجهود العظيمة التي بذلت في سبيل تصحيح هذا الكتاب

ولا يسعنا إلا أن نزجي خالص الشكر إلى هذه اللجنة الموقرة في شخص رئيسها الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك ، على إخراج هذا الكتاب خاصة ، وعلى ما قدمت – وتقدم – كل يوم للعلم والأدب والتاريخ والفن من أسفار جليلة وذخائر نفيسة تقرأ في كل عصر ويظل نفعها على وجه الدهر ...

(المنصورة) محمود أبو ريه

(١) ص م من تصدير الكتاب

مطبعة الرسالة